الطبعة الثانية

الأعمال الكاملة للعارف بالله

فضيلة الشيخ محمد علي سلامة

مدير عام أوقاف بورسعيد الأسبق

شعب الإيمان

مراجعة وتحقيق الشيخ فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾

الكتاب	شعب الإيمان
تأليف	العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد على سلامة
تحقيق ومراجعة	الشيخ فوزى محمد أبوزيد
الطبعة الثانية	١٠ شوال ١٤٣٧هـ، ١٣ يوليو ١٩١٦م
الطبعة الأولى	١٩٨٥م، ١٤٠٥هـ
داخلى	١٦٠ صفحة ٨٠جم ١٧ * ٢٤ * ٥ لون
الغلاف	كوشيه مط، ٣٠٠ جرام، ٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة – ١١٤ش ١٠٥ – حدائق المعادى – القاهرة – ج م ع، ت: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٦١٦١٨
طباعة	دار نوبار للطباعة بالعبور
رقم إيداع محلى	١٥٤١٦/ ٢٠١٦
رقم إيداع دولى	٩٧٨-٩٧٧-٩٠-٤١٤٠-٩

- ملاحظة: العنوان شعب الإيمان مكتوب بالخط الثُلُث المضغوط وهى محاولة من الخطاط المبدع الأستاذ إبراهيم بدر لإعادة استخدام هذا الخط أن اندثر.

مقدمة المحقق

بقلم الشيخ فوزى محمد أبوزيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

الحمد لله ربِّ العالمين الذى حبَّب لعباده الإيمان وزيَّنه فى قلوبهم ...

والصلاة والسلام على الحبيب المحبوب من عرَّف أهل الإيمان بشعب الإيمان وبيَّنها بالعمل والحال وشرحها بالبيان!.. ثم أفاض ﷺ على قلوب ورثته وحملة لواء شريعته المزيد من التبيان بما يناسب كل عصر وأوان .. صلى الله عليه وعلى آله الأنجم الزاهرة وأصحابه ذوى القلوب الطاهرة وسلم تسليماً كثيرا ... وبعد ..

إن تحقيقى ومراجعتى لهذه الطبعة الثانية من كتاب "شعب الإيمان" لأستاذى وشيخى العارف بالله الشيخ محمد على سلامة؛ تجعلنى أنتهز الفرصة لكى أبين نذراً يسيرا مما يسمح به المقام من أسلوب الدعوة الحكيمة لهذا العالم الجليل، العامل بما علم فورثه الله علم ما لم يعلم! فأفاض علينا بدوره من تلك العلوم ما هيَّم الأرواح وشنَّف الأسماع وحرَّك الأشباح شوقاً إلى حضرة الكريم الفتاح!

ومن ذلك هذا الكتاب القليل أوراقه! العظيم إغداقه من الكلام السهل الممتع وهو كتاب " **شعب الإيمان** "، والذى عند قراءته يتبين بيقين أن أسلوب دعوة الشيخ لله كان نسيجاً وحده .... ونمطا فريدا متميزاً فى هذا العصر والأوان! ...

وإنه ليجدر بى أن أقول أن أهم ما أخذته من صحبة العارف بالله الشيخ محمد على سلامه فى أسلوب دعوته! هو الحكمة العالية فى الدعوة إلى الله!!!

وقد لا تتضح أبعاد هذه الحكمة إلا بعد أن ضرب الأمثلة على ذلك ..

أمثلة فى فقه دعوة الشيخ محمد على سلامة إلى الله

ومن ذلك [1]: كنت يوما عند فضيلته ﷺ فى منزله فى ههيا بمحافظة الشرقية بمصر، وإذا برجل يأتى بمسألة فى الطلاق، وأنا على يقين أن الشيخ ﷺ كان على دراية كاملة بالفقه علي المذاهب الأربعة– لأنه عندما جاء هنا إلى طفنيس مركز إسنا بمحافظة الأقصر بصعيد مصر موفدا من قبل وزارة الأوقاف، ووجد أهل هذه البلاد مالكية ودراسته التي أخذها كانت على المذهب الشافعي، أحضر كتب المالكية ودرسها لكي يفتى أهل البلدة ويؤمهم بمذهبهم– لكن فوجئت به يكتب المسألة! ويطلب من ابنته أن تذهب إلى شيخ الجامع الكبير فى ههيا أى فى المركز! وتأتى بالإجابة!! ولم أدرك سرَّ هذا إلا بعد سنوات! كيف؟ .. فى المنطقة التي أقطنها يأتيني الناس كذلك فى فتاوى الطلاق، ومنذ عامين تقريباً [2] توقفت، ومن يأتيني أقول له عليك بلجنة الإفتاء!، لماذا؟

ذلك لأني وجدت الناس يكذبون ولا يقولون الحقيقة ومبدأهم كما يقول المثل ((ضعها فى رقبة عالم واخرج منها سالم))، وبالطبع فإن العالم يفتي كما يعرض عليه، وبما أن الناس يكذبون!!، فقد وجدت أنه من الأسلم توجيه الناس إلى لجان الفتوى بالأوقاف، والمساجد الكبرى ... فمثلاً مسجد سيدي أحمد البدوي، به لجنة فتوى معقودة باستمرار من ثلاثة علماء، وتعرض المسألة على ثلاثتهم ويفتون فيها، وقد ذكرت هذا الموضوع خصيصاً حتى لا يسارع إخواننا الدعاة بارك الله فيهم فى مسألة الإفتاء!! خاصة فى الطلاق! والميراث!.. فالناس فى هذا الزمان لا يعرضون القضية بأمانة، وكل واحد منهم يعرض مسألته من الزاوية التي يضمن بها أن تحكم له! وبعدها يقول أن الشيخ فلان حكم لى – والطرف الآخر يعرف القضية بأبعادها .. فيقول أن هذا الشيخ ظالم! أو جاهل! ولا يعرف أن الطرف الأول عرض الحقيقة مبتورة!!

وإذا كنت عالماً وأردت أن تفتى فى قضية طلاق !فلا بد من حضور الطرفين!،

---

١ طفنيس ١٤٢٩/١/٢٠هـ ٢٠٠٨/١/٢٨م، (الجزء الأول) والباقى أضيف من مواقف ولقاءات أخرى.
٢ أى حوالى عام ٢٠٠٦ م.

والأسلم من ذلك أن توجهم إلى لجنة الفتوى .. قد يقولون عندها أنك غير عالم!، فليكن! تكون أنت الغانم السالم!! فقد كان سيدنا الإمام مالك ﷺ:

ربما يسأل عن مائة مسألة فيجيب منها في خمس أو عشر، ويقول في الباقي لا أدري.، وقال له بعضهم إذا قلت أنت يا أبا عبد الله لا أدري فمن يدري؟ قال: ويحك ما عرفتني؟ وما أنا؟ وأي شيء منزلتي حتى أدري ما لا تدرون؟ ثم أخذ يحتج بحديث ابن عمر، يقول لا أدري فمن أنا، وإنما أهلك الناس العجب وطلب الرئاسة.، وقال مصعب: سئل مالك عن مسألة فقال لا أدري.فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة وإنما أردت أن اعلم بها الأمير! وكان السائل ذا قدر، فغضب مالك وقال: مسألة خفيفة سهلة! ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾، فالعلم كله ثقيل وبخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة.[3].

وقال مالك بن أَنس وورد عن عبد الله بن عباس ﷺ: **إذا تَرك العالم لا أدري أُصيبت مَقاتِله**.، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وقيل عمر بن عبدالعزيز ﷺ: **مَن سُئلَ عما لا يَدري فقال: لا أدري؛ فقد أَحرَزَ نِصفَ العِلم.**[4]، وهذه حكمة عالية قد تعلمناها من هؤلاء الدعاة ﷺ .

والحمد لله فى بلادنا مجموعة كبيرة من الدعاة، أكثرهم مجتهدون، وبما تعلمته من أسيادنا الصالحين اخترت أن أكون من المقلدين!، ولا شأن لى بالاجتهاد فأنا أحيل هذه الفتاوى إلى لجان الفتوى المتخصصة، وما كان يمشى عليه الشيخ ﷺ فأنا على دربه أمشى لا أغير! ولا أبدل! وذلك لأنى نظرت إلى ما كان عليه الشيخ فوجدته الأتمَّ والأكمل، فبماذا أجئ بعد ذلك؟ ... هل فهمتم إذاً لما كان الشيخ محمد على سلامه يرسل فتاوى الطلاق إلى شيخ الجامع الكبير .. لأن االناس تعرض

٣ ترتيب المدارك وتقريب المسالك.
٤ الحكمتان وردتا فى العقد الفريد والبيان والتبيين.

الحقيقة مبتورة لتعلقها فى رقبة العالم!!!

وهاك مثالاً ثانياً فى فقه دعوة الشيخ ﷺ إلى الله:

فقد كان مثلاً يختم المجلس – وكان كل درس فى المسجد يعتبر مجلساً مستقلاً – بقراءة الفاتحة للحاضرين، ومعها دعاء! وبعده يقرأ الفاتحة لأهل البلدة، ثم يقول الفاتحة لرجال الله الصالحين وسكان هذه البلدة ومشايخنا ومشايخكم ...وذلك لأن لكل الحاضرين من الصوفية شيخه، بذلك يكونوا كلهم مشتركين فى هذه الفاتحة، وبعد ذلك عندما يخص شيخه وهو مولانا الإمام أبو العزائم لا تتغير نفوس الحاضرين لأننا ذكرنا كل المشايخ.

ثم بعد ذلك يقرأ الفاتحة لوالدينا ووالديكم وأمواتنا وأمواتكم وأموات المسلمين أجمعين! ثم بعد ذلك يقرأ الفاتحة لكل من له حاجة، ثم بعدها الفاتحة الخاتمة لسيد الأولين والآخرين ﷺ بعد هذا الختام! هل هناك من شئ لم يشمله الشيخ بالدعاء؟ لماذا إذاً لا نمشى على هذا النهج فى كل أحوالناومجالسنا وبلادنا، وأنا كمقلد أتبع هذا المنهج! أما إخوانى المجددون المجتهدون فلهم الخيار، أما المنهج الذى إرتضيناه واخترناه، فهو المنهج الأكمل لأنه من وارث رسول الله ﷺ وكان من أكمل الناس وأعلم الناس بحاجات الناس فى هذه الحياة! وهكذا وفى الحقيقة كل ما كان عليه الشيخ عندما يتفكر فيه الواحد ويتدبر يجد أنه ليس عن هوى ! وإنما كان عن إلهام من الله !! فرسول الله ﷺ له الوحي ونحن لنا الإلهام من الله ﷻ ..

فالداعى على بصيرة الذى يريد أن يقتدي بأهل الإلهام عليه أن يطرد حظ نفسه وهواه! ويقتدي بهم كما ينبغي ليرزق بالإلهام كما رزقهم الله.

ولذلك فإن إخواننا الذين يجتهدون ويريد الواحد منهم أن يأتى بشيء جديد من نفسه تجد أن الفتح يقف أمامه فلا يأتيه أبداً لأن الفتح ليس بالجهاد ولا بالاجتهاد وإنما بالاصطفاءمن الله ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٧٥الحج)..من الذى يصطفى هنا؟ .. الله ﷻ ، والصالحون من عباد الله

لهم جانب عند ربهم ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ﴾ (٢٢ الشورى) ... ولذلك من يرشحونه.. ويزكونه .. هو من يصدر له قرار الاصطفاء .

وفى الحقيقة فإن كل الخير الذى أنا فيه من بركة شيخى الشيخ محمد على سلامة ﷺ وأرضاه عنى، وكل ما أحمد الله ﷻ عليه ولا أستطيع شكره عليه أنه كان يحبني ويعلم الجميع ذلك (**فبحبه فازوا بكل ـمراد**)! فهذه الطريقة الحكيمة إخواني هى التي يجب أن نأخذها من الصالحين وليس من الكتب لأن الكتب تقول وتتركك! أما هؤلاء فإنهم يعلموك كيف تصول وتجول فى المجالس وأنت موصول بأنوار الرسول! وليس بالفكر! ولا بخواطر النفس! فكلها إلهامات من الله ﷻ

ولذلك عندما يمشى الواحد على النهج وعلى الخطى، ربما يتعجب البعض! فهي نفس القاعدة، فالفواتح التى تقرأ كما هى!! لكن الدعاء الذى يجئ هنا .. بخلاف الدعاء الذى يجئ هناك!! فهل جهزت هذا الدعاء أو حضرته ؟ أبداً ..!! بل إن الدعاء الذى يلهم به الواحد هنا مناسباً لمن هنا، والدعاء الذى يلهم به الواحد هناك مناسباً لمن هناك، وهكذا لأنه إلهام من الله ببركة حبيب الله ومصطفاه، وببركة رضا الرجل الوارث الذى صحبناه ﷺ وأرضاه.

وعندما يأتى ولد من أولادنا طالب بالفرقة الأولى فى الجامعة ويريد أن يزاحم الدكاترة والأساتذة فهل ينفع ذلك؟!! ألا تنتظر حتى تأخذ الدكتوراه على الأقل! فانك مازلت فى الفرقة الأولى ؟ وحتى إذا إنتهي من الجامعة !ومازال معيداً هل يصح أن يزاحم الأساتذة ؟ لا إذاً لابد وأن تعرف أن المقام محفوظ وكل من سبقك ولو بيوم صدق فى صحبة الشيخ !! فله فضل السبق عليك .. ولابد أن تراعى ذلك، وهذا فضل الله ...

لكنك بهواك تريد أن تمشى ويكون لك كينونة وقد قالوا: **من زاحم ليكون لا يكون، ومن زاحم ليحل فى القلب فذلك فى المحل الأعلى**.

ومثال ثالث:

علمنا الشيخ ﷺ فى درس عال وغال إن الداعى على غير بصيرة عندما يحب أن يأتى بالغريب إلى الناس! يذهب إلى كتب الرقائق الصفراء! ويأتي منها ليبهر الناس كما يظن!! والكثير من إخواننا الدعاة يفعلون ذلك !!– وبالطبع فكثير من الكتب بها أحاديث غير صحيحة وإسرائيليات! وقد قال لنا الشيخ ﷺ فى ذلك : **إذا حدثتم العلماء فحدثوهم بالأحاديث الصحيحة** وإذا كانت نيتك طيبة وكنت موصولاً فسيأتى لك الإلهام فى المعانى .. حتى ولو فى حديث شائع .. ومعروف .. ومتفق عليه.. فسيرزقك فيه بمعانى جديدة ... فما الذى يجعلك تتجشم الصعاب وتأتى بالأحاديث الضعيفة والروايات المشكوك فى صحتها وترويها ؟ ... لا !! فبعد تحصيل العلم اللازم للداعى فإن علينا ألا نفتش فى كتب السابقين فحسب!! ... ولكن:

فلتعلو همتنا ... للتلقى من قلوب الصالحين، وهذا هو الجديد! والبحر المديد!.. لماذا؟

لأن كثيراً مما بكتب السابقون من معلومات .. ربما يكون عفا عليها الزمن! والكثير منها يلزم تغييرها فلم تعد مطابقة للعصر !! لكن ما ينزل على قلوب الصالحين ... فهو أحدث تكنولوجيا علمية قرآنية مناسبة لهذا الزمان !! ... فالمفروض عليك أن تأخذها من رجالها وتنقلها!

لكن بعض إخواننا الدعاة تغلبه نفسه! ويقول هل أعيد هذا الكلام مرة أخرى؟ ويستكبر! ويستعظم أن يعيد! ويريد أن يكون دكتوراً ويأتى بالجديد! إذاً فابقى كما أنت حديد! فلن يأتيك مدد جديد من الحميد المجيد أبداً، لأنه لا يكون هناك دكتور! إلا إذا كان أولاً .. معيد!، فلا بد وأن يعيد! ويرضى عنه الدكتور المشرف الرشيد! لكى يسجل رسالته.. ويصبح له بعد ذلك منهج جديد من الحميد المجيد .

من هدى الشيخ سلامة ﷺ في خطبة الجمعة

ومن هدى شيخنا ﷺ في خطبة الجمعة:

✓ أنه كان ﷺ يتحرَّى أن تكون خطبة الجمعة ذات موضوع واحد، لا يخرج عنه الخطيب حتى لا يتشتّت السامعون، ويقول لى: **المهم يا بني أن يخرج الناس من المسجد وقد عرفوا موضوعاً محدداً من أمور دينهم واستوعبوه ليعملوا به**.

✓ وكان يتحرَّى دائماً أن تكون موضوعاته على المنبر أو في دروس المساجد من الموضوعات العامة التي يحتاجها كل مسلم، ويبتعد عن ذكر الأمور الخلافية أو الإشارة إليها، وكذا ما يثير الفتن والمشاكل بين الناس.

✓ وكان يلقى الخطبة بلغة سهلة وواضحة تناسب مستوى الحاضرين لتصل مباشرة إلى قلوبهم قبل أسماعهم، مع الحرص ألا تكون طويلة مملة أو قصيرة مخلّة، وقد كان من غرائب هذا أنّي كنت أتابعه ﷺ وأنا ممسك بساعتي فكان لا يزيد على سبع عشرة دقيقة في كل خطبة إلا نادراً جداً، ومع ذلك نخرج وقد استوعبنا الموضوع من جميع نواحيه، وكان يقول لنا دائماً في ذلك: **لأن نترك الناس راغبين خير من أن يتركونا زاهدين**.

✓ وكان ﷺ عندما يوجَّه أو يكلَّف أحداً من الدعاة للخطابة فى المساجد يختار منهم المناسب للمكان الذى يوجهه إليه بدقة طبقا لمستوى المستمعين بتلك المساجد الدينى والإجتماعى ويوصيهم بما يناسب أهل المكان ويتابعهم! ..

✓ كما كان ﷺ يحرص على التبشير في كل خطبه ودروسه، ولا يميل إلى التَشديد و لا التعسير، ويفتح للناس أبواب رحمة الله تعالى الواسعة، ويمزج ذلك بتخويف لا يقنطهم من رحمة الله تعالى.

– كما كان ﷺ شديد الأدب في الحديث عن العلماء جميعاً، فلا يجرّح أحداً من المعاصرين! حتى ولو أخطأ بل يلتمس له العذر ويبرر له موقفه ومع ذلك يقرر

الصواب بطريقة حكيمة، وقد كان للشيخ ﷺ مواقف مشهودة فى الكثير من القضايا الفكرية التى راجت وقتها وشغلت الناس والعلماء فأصاب من أصاب وأخطأ من أخطأ وأتى كثيرون للشيخ لينصر رأياً ما على صفحات الجرائد أو يقول فى فلان أو علان؛ ولكن الشيخ ﷺ كان يقول للجميع دائماً: إياكم ولحوم العلماء فإن لحومهم مسمومة! لا تخوضوا فى أعراض العلماء وإن أخطأوا فإنه لكل جواد كبوة! وكثيرا ما كان يذكر حديث رسول الله ﷺ فى هذه المواضع: □ **اتّقُوا زَلّةَ العالمِ، وانْتَظِرُوا فَيْئَتَهُ** □[٥]، .. أما العلماء السابقون فيترضى عنهم أجمعين.

✓ وكان لا يؤيد من يحفظ الخطب أو يستظهرها ثم يلقيها! ويقول لنا: مفهما وشارحاً: □ **نحن لا نحب لأحد من إخواننا أن يحفظ الخطب ثم يكررها -بالنص، ولكن يفهم المحتوى ثم يعبِّر عنه بأسلوبه** □ .. فنعم المربي ﷺ كان لنا، فجزاه الله عنَّا خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير في الدنيا والآخرة.

✓ وكان رضى الله عنه يخرج لصلاة الجمعة بالمساجد المتعددة أو الزوايا البعيدة بمحافظة بورسعيد وكان إذا حضر المسجد يفسح له خطيب المسجد ليخطب الجمعة بالطبع، ولكنه كان لا يصعد المنبر إلا إذا إستأذن الخطيب، وكانوا يحرجون من استئذانه لهم وهو العالم الجليل قبل المدير! ولكنه يفعل تنفيذا للسنة ورفعة لشأن الخطيب فى مسجده ولو كان زاوية صغيرة.

✓ وكانت للشيخ مهابة ووقار، وإذا دخل المساجد فبلا تكلف ولا تصنَّع! وكان يقول يا بنى لا أقدر أن أتصنَّع أو أتقعَّر فى الكلام أو أقلب أنفى مثل بعضهم ولا يسمِّى أحداً! ولكنه كان أشد الناس تأثيرا بما حباه الله! وفى جمعة زار مسجدا وكان محتقن الأنف لا يمكنه الخطابة ورفض شيخ المسجد أن يخطب فى وجوده وقال له لا أرقى المنبر وأنت هنا! مع أنه خطيب متمكن! فطلب الشيخ من أحد الأحباب وكان يرافقه أن يخطب رفقا بالخطيب الذى هاب أن يخطب فى وجود الشيخ.

---

٥ سنن الكبرى للبيهقي عن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده ﷺ.

بذل الجهد الجهيد فى الدعوة مع الرغبة فى عدم الظهور

وقبل أن أختم هذه اللمحات عن ذلك الشيخ العارف الوارث كأنموذج فى طريق الدعوة المباركة، أذكر بأنه من أهم الحكم التي تعلمناها من شيخنا الشيخ محمد على سلامة ﷺ – وما أكثر الحكم التي تعلمناها منه فى هذه الحياة – الأناة والرغبة فى عدم الظهور مع القيام بأعباء دعوة الله جل فى علاه!! بيذل الجهد الجهيد فى الدعوة ويخلص أشد ما يكون الإخلاص مع الرغبة الصادقة فى عدم الظهور ... وقد كان يقول لى : □ **أنا كالجندى المجهول،..أعمل ولا أريد أن يعرفني أحد** □ !! وذلك هو الجزء الأساسي للداعي، فإذا كان الداعي يحب الظهور! فحتى لو كانت له أنوار.. فأنواره فى أفول!!

وعلى الداعي أن يكون عمله خالصاً لوجه الله، ولا يريد أن يعرف عنه شيئاً قليلاً أو كثيراً إلا مولاه جل فى علاه فلا يحدث عن نفسه ولا يتحدث، ولذا كان ﷺ كثيرا ما يقول: □ **يابنى اعمل ولا يهمك معرفة شيخك أنك تعمل، لأنك تعمل لله! لا لشيخك!** □ .. ولذا لدينا علامة، إذا جاء الداعى أو المنسوب للدعوة وقال أنا كذا وكذا! نقول له: أنت لا تفلح! من قال أنا فقد نأى!

عمن تتكلم إذاً ؟ تتكلم عن الله أو عن رسوله ﷺ أو الصالحين من عباد الله، أما أن أتكلم عن نفسى فما الذى معى حتى أفعل ذلك ؟ فإنهم لو عينونى خادماً على أعتابهم فيا هناى وقد قال الأمام أبو العزائم ﷺ فى ذلك :

قبلت نعل محمد يا فرحتى .. أنا خادم الأعتاب فافهم مكانتى

وحتى لو تكلم الداعي عن شيخه ! فعليه أن يتكلم عن شيخه وحسب!، لا عن نفسه من خلال كلامه عن شيخه – فهو إن فعل ذلك فإنه يريد الظهور ! وفى هذه الحالة فإنه مسكين !ويريد أن يرجع مرة أخرى للسير والسلوك إلى ملك الملوك ﷻ ، فماذا يجب على الداعي ؟ .... يجب عليه أن يظهر كمال الله وجمال الله

للمؤمنين بالله ، وأدب رسول الله وأخلاقه للموحدين بالله، وجمال دين الله لغير المؤمنين بالله! ليدخلوا فى دين الله – وهذه هى وظيفة الداعى: فهو يكلم المؤمنين عن جمال الله ليعشقوا الله، أو عن حبيب الله لكي يتخلقوا بأخلاقه، أو يوضح لهم ما غاب عنهم من شرع الله، ومع غير المؤمنين يكلمهم عن جمال هذا الدين لكي يدخلوا فيه، ولذلك قال أبو العزائم ﷺ: **إذا رأيت الرجل يشطح لسانه فى أسرار مزيته! فاعلم أن ذلك من نقصٌ فى مقام عبوديته**

أى ليس له مقام فى مقامات الرجال ومازال فى التربية فلا يصح الوصول إلا إذ قلت (منه وإليه وبه وله) فلا يجوز أن تقول منى ولا لى ولا عندى ولا بى!! لأنه بذلك تكون لك (أنانية) تشارك بها رب البرية ﷻ.

وقد حذرنا الصالحون ممن قالوا ذلك فى القرآن، فمنهم من قال أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى! ومنهم القائل أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ!، ومنهم من قال أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي!، وقد حذر الصالحون من قول هذه الألفاظ: لا أنا! ولا لى! ولا عندي!، فماذا تقول إذاً؟ .. تقول (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)، أو (هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ)، أو (هذا بالله ولله ومن الله وإلى الله وأنا عبد ضعيف أجرى الله ﷻ الخير على يدي للخلق الله! فماذا معي؟ لا حول ولا قوة لأي عبد إلا بمولاه جلّ فى علاه)! أو مثل ذلك !

ومن نماذج بذل الشيخ محمد على سلامه ﷺ الجهد الجهيد فى الدعوة فى جميع الأوقات مع رغبته فى عدم الظهور! الكثير مما قصَّه علينا من نثق بهم من إخواننا اللذين كانوا يصحبون الشيخ فى بورسعيد .. ومنها على سبيل المثال:

أنه كانت فتنة فى نهاية السبعينات وبدايات الثمانينات مع الجماعات المتشددة بخصوص ميعاد الفجر والفجر الصادق، وصاروا يشككون الناس فى بداية صيامهم فى رمضان ويفتعلون المشاكل على أبواب المساجد عند صلاة الصبح، وصارت فتنة أخرى إذ يريدون أن يجبروا الناس والمحال والسيارات على التوقف أثناء

أداء صلاة الجماعة الأولى فكانوا يفترشون الشوارع الرئيسية ويمنعون مرور السيارات بحجة إقامة الصلاة ويريدون منع المحلات أن تفتح أثناء أداء الجماعة الأولى، وكان أغلب المشايخ فى هذا الوقت عندما بدأت هذه الأمور يمتنعون من مواجهة هؤلاء ويتجنبونهم لغلظة ألفاظهم وعدم إحترامهم للعلماء، ولكنه كان ﷺ يقول أنا رجل مسؤول أمام الله! لا أتراجع عن أداء واجبى نحو المجتمع ونحو هؤلاء أنفسهم لأبين لهم وجه الخطأ فيما يفعلون, وعلى أن أعين الناس فلا يتشتتون بتلك الفعال أو بالآراء الشاذة!، وكم جالسهم الشيخ وناقشهم ليبين لهم وجه الصواب إذ تجنب الكثيرون المواجهة، وكان ﷺ مؤيد الحجة بالله حاضرا دائما.

وقد أخبرنى أحدهم إذ صحب الشيخ ليقيم الحجة على هؤلاء ببطلان تشديدهم على المجتمع وتقليدهم الأعمى لغيرهم أنه ذهب مع الشيخ وحده أو مع نفر آخر، للقاءهم بإحدى القاعات وإذا بهم أكثر من عشرة أفراد ومع كل واحد عشرات الكتب والمجلدات والمراجع ليستشهدوا بها والشيخ وحده وليس معه إلا الله، وقد وضعوا المراجع الضخمة أمامهم على طاولة الإجتماعات، وإذا بالشيخ يسألهم ما هذه الكتب؟ فيقالوا هى مراجع التراث لنستشهد بها! وأنت أين مراجعك التى ستستند إليها؟ فقال لهم برحمة ومحبة تأخذ بالقلوب وتلين الحديد:

يا أبنائى إنَّا والله قد درسنا تلك الكتب والمراجع كلها عبر سنوات عديدة وعرفنا محكمها ومتشابها ومنسوخها! قويها وضعيفها والكثير الكثير من غيرها؛ فلما تعلَّمنا هذا كله واستوعبناه على أيدى علمائنا الأجلاء ومعلمينا الثقة الفضلاء.. وامتحنونا ووثقوا من علمنا وفقهنا للعلم أجازونا! وصارت مراجعنا محفوظة فى عقولنا وقلوبنا! بل وصرنا نحن مراجع للناس تبع أقوالنا من علوم الكتاب والسنة وفقه الأئمة وواقع الأمة! وسار اللقاء وتعددت أمثال تلك اللقاءات! وأثمرت حكمة الشيخ الذى لم يتقاعس ساعة عن بيان الحق! حتى إذا جاءت الإحتفالات بالمحافظة وصارت أوقات التكريم عندما تمكنوا من دحض الكثير من تلك الفتن بهذا الوقت! كان الشيخ ينيب بعض معاونيه لحضور الإحتفالات والأضواء والتكريم.

ومنها أنهم كانوا قد طبعوا بعض أجزاء من تفسير القرآن (**أسرار القرآن للإمام أبى الـ ـعزائم** ﷺ) ثم لم يمكنهم الإستمرار لأن الأجزاء التالية بها الكثير من المواضع زال حبرها إذ كانت كلها مخطوطات باليد قد تآكلت بعض صفحاتها! ولم يجرؤ أحد على التدخل لتصحيح الوضع ليتمكنوا من طبع الأجزاء التالية، فكان أن طلبوا من الشيخ ﷺ أن يقوم بهذه المهمة الشاقة والجسيمة فوافق فوراً وبلا مقابل خدمة لتراث الإمام أبى العزائم وللأمة الإسلامية قاطبة! ... فكان أحد إخواننا من بورسعيد يحضر الأجزاء المخطوطة من القاهرة واحداً تلو الآخر إلى بورسعيد، ثم يقرأ أحدهم والشيخ يصحِّح الكلمات أو الجمل المبتورة أو الناقصة! وقد أتوا كثيراً إلى صفحات بها آيات عديدة مفقودة تماماً فكان الشيخ يسألهم: ما آخر المكتوب؟ فيقولون كذا! فيقول: وما أول الكلام التالى الموجود؟ فيقولون كذا! فيطرق برأسه، ثم يقول أكتبوا! ويبدأ الإملاء ويتوقف عند الموضع التالي بالكلمة كما هى على الحقيقة وكأنه يغرف من نفس المعين أو يقرأ من كتاب مفتوح، ولما تعجَّب إخواننا لتكرار ذلك؛ رأى أحدهم الإمام أبا العزائم فى الرؤيا وهو يملى على الشيخ فى أذنه والشيخ يمليهم ما يسمعه من أبى العزائم!. وقد بلغت الأجزاء التى صحَّحها الشيخ قرابة العشرة أو أكثر، وقد كتبها إخواننا بأيديهم ثانية كاملة بعد تصحيح وتحقيق الشيخ لمئات المواضع فيها، ومن العجيب أنه لما طبعت تلك الأجزاء فيما بعد نسى طابعوها أن يذكروا أن من حقَّقها وصحَّحها وأتمها هو الشيخ ﷺ كأن الله يريد أن يبقى أعماله سرا بينه وبينه رضى الله عن أهل الله أجمعين!

ومن جلى عدم حب الشيخ للظهور أن الشيخ الشعراوى كان يطوف بالمحافظات ليسجل تفسير القرآن بالمساجد للتليفزيون المصرى، فعند حضوره لبورسعيد فى بعض الحلقات والشيخ سلامة كان مديرا للأوقاف وقتها! وأضواء الشهرة مسلطة بقوة على الشيخ الشعراوى، كان الشيخ يحضر لإستقباله والقيام بواجبه وكذا المحافظ والكبار القوم؛ فإذا حان وقت التسجيل ووضع الكاميرات وترتيب الحضور والصفوف وتقاسم الكبار الصفوف الأول الظاهرة! كان الشيخ يتصرف بلباقة ويترك المعاونين والأحباب ليكونوا بالصدارة وتحت أضواء الظهور!

وكان بعض إخواننا ممن حضروا هذه اللقاءات ببورسعيد للشيخ الشعراوى يتعجب كيف أن الله جمع الناس على الشيخ الشعراوى عليه رحمة الله، بينما الشيخ محمد على سلامه مع علو قدره ليس له هذا الظهور! فنام ليلتها وهو حزين فرأى أنهم فى نفس المسجد وهناك ستارة خلف الشيخ الشعروای ومولانا الشيخ سلامة خلف الستارة يلقن الشيخ الشعراوى ما يقول، فقام منشرح الصدر وأخبر الشيخ برؤياه؛ فردَّ بأدبه الجم: إنما كلنا نغترف من بحر رسول الله يا بنى!.

ومنها أن الشيخ كان يقيم بشقة متوسطة بالدور السادس بحى الكويت ببورسعيد[٦] وليس بالعمارة مصعد، ولكنه كان يصعد إلي الشقة وينزل أكثر من مرة باليوم ولا يمتنع أبدا عن تلبية طلبات أبسط الناس أو العوام الذين يطلبون منه حضور مناسبة لهم ليتباركوا به فى عقد قران أو عزاء إو إصلاح بين متخاصمين أو زوجين! أو إفتتاح مكان ! وكان هذا يتكرر يوميا ! وبلا إنقطاع على مرِّ السنين! فيصعد للبيت للمرة الأولى أو حتى الثانية! فإذا جلس فإذا بأحد يدعوه للنزول مرة أخرى! فيبتسم إبتسامته الحنونة ويقول ياأخى يعنى لو قلتلى قبل ما أطلع! معلهش! هانزل معاك! وينزل جبراً لخاطره! وكان دائما ما يكرر لنا ويعلمنا (جبر الخواطر عبادة)! فكان الشيخ يلبى عامة الناس ممن يعرفهم أو لا يعرفهم ويشاركهم مثلما – إن لم يكن أكثر – مما يلبى كبار الداعين بالأماكن الفاخرة والقاعات المعدَّة!

ثم حدِّث ولا حرج عن مشقة المواصلات والطرقات فى تلك الأيام!! وغالباً ما كان الشيخ ﷺ يتكبد مشقة الذهاب إلى الناس البسطاء بنفسه ليشاركهم مناسباتهم التى يدعونه إليها! فلم يطالبهم أبداً بوسيلة تقله ليحضر عندهم! ولا يسألهم إلا عن العنوان! ثم يتولى هو الحضور بنفسه مع بعض أحبابه إن توفر أحدهم! وكانوا جميعا فى هذا الوقت لا يملكون السيارات! فكان يذهب بالمواصلات العامة سواءً ببورسعيد أو خارجها! وقد تعلمنا هذا من الشيخ من وقتها وصار هذا حالنا إلى الآن فى جميع مناسباتنا ولقاءاتنا.

---

٦ وقد أنتقل الشيخ إلى جوار ربه ولم يغير تلك الشقة ومازالت زوجته تقيم بها إلى الآن ببورسعيد.

وفوق هذا كله كان الشيخ إذا ذهب بمناسبة لعيادة مريض أو حضور زفاف أو غيرها مما تعوَّد الناس أن يتهادوا فيه! فقد كان يهديهم كما يقتضى الحال ربما ببعض المال أو بمصحف وكان يكتب الإهداء ويؤرخه! ويدعو لأهل المناسبة ويشكرهم كثيرا على حسن استقبالهم وضيافتهم وربما لم يتناول أكثر من الماء أو الشراب عندهم ويشعرهم بأن القليل الذى بذلوه كثيراً، ولا ينسى الشيخ واجباته أبداً ولو كان هؤلاء الناس ليسوا من معارفه أصلا ... ولكنه ﷺ كان يرى الواجب العام للداعى إلى الله وأن المجتمع كله أهله وإخوانه وهكذا كل مسلم كما أخبر الحبيب ﷺ، فكان ﷺ يعلم الناس ذلك بالتدريب العملى وفى كل المناسبات ...

وذات مرة ذهب الشيخ لعيادة مريض بمستشفى ببورسعيد وكان المستشفى للجميع ولكن كانت إدارته غير مسلمة وكانت هناك صور وصلبان بالغرف، وفوق رأس المريض كان هناك صليبٌ معلقٌ فلم يتحرج الشيخ أن يقول للممرضة ألستم تحرصون على الصحة النفسية لمريضكم؟ فإن كان مريضكم مسلما وجب عليكم أن تراعوا هذا فلا تجعلوا تلك الرموز فوق رأسه لأن هذا يضر بصحته النفسية بل وجب أن تحضروا له قرآنا مثلاً أو شيئا يناسب المريض.

وسافر الشيخ يوماً من بورسعيد إلى قرية بدمياط لزفاف إبن بعضهم وكان وقته ضيقاً جداً! ومع ذلك تجشَّم صعوبة المواصلات وذهب مع أحد أحبابه لتهنئة العريس فى بيته وأعطاه هديته، ورأى الشيخ ببصيرته النورانية وجود بعض العادات البالية المنكرة لفض البكارة فى هذه البلدة بالأصبع أو بآلة، فلما خلت الغرفة أوصى الشيخ العريس بالطريقة الشرعية للدخلة، وحذَّره صراحة مما هو منتشر ببلدتهم من العادات القبيحة وأن هذا له حسابه، فإن اتبع السنَّة وُفِّق؛ وصار، وأسهم الشيخ فى نبذ هذا المنكر، فكان الشيخ لا يترك فرصة إلا ويعطى حق الدعوة لله فيها! ثم شربوا شرابا ورجعوا ثانية لبورسعيد بالمواصلات ولم يستريحوا.

وكان إذا سافر بسيارة خاصة مع أحد فلا يتناولوا من الحديث إلا ما يلزم، ثم يأمر أحداً أن يقرأ شيئا من كتب أبى العزائم ويبدأ بتفسيره ، أو من كتاب الله

ويشرح ما تيسر منه، أو إن كان لأحدٍ سؤالٌ أو ما شابه ذلك أجابه! وأحدهم يكتب وراءه إذ لم يكن المسجل الصغير قد انتشر بعد ولا الرقمى قد ظهر!، وفى مرة نام الشيخ من التعب وهم يقرؤن القرآن بصوت خفيض فلحن أحدهم فى القراءة فصحَّحها الشيخ له وهو نائم ولم يستيقظ؛ فكان حتى فى نومه مع الله.

وسأختم كلامى عن الشيخ هنا بأقوال أو مواقف اتخذها الشيخ فى أحوال خاصة أو سريعة لا تلحظ بالعين العابرة! ولكنى أذكرها لتعلموا أن الشيخ كانت كل أوقاته بل وأنفاسه بلا مبالغة! لله وفى الله وفى الدعوة لله بياناً و فعلاً أو نصحاً للخلق وتحبيباً لهم فى ربهم! وإحياءاً لسنة نبيهم ﷺ الذى خاطبه مولاه سبحانه وتعالى قائلاً : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام)

الموقف الأول: كان الشيخ قد عُيِّن ببورسعيد نائبا لمديرية الأوقاف، ثم أتته الترقية لمنصب المدير! لكن بعضهم ولإعتقادهم أن الشيخ بتاع ربنا! تمكن إدارياً من تأخير الترقية! وكان الشيخ الأحق بها؛ فقال ﷺ لنا: **يا ابنائى لست والله فى حاجة لمنصب دنيوى لأنى كلى لله! ولكن إن تركت حقى استنَّ بى الناس وتركوا حقوقهم فأكون مخالفاً للسنة ؛ لكنى أسعى لحقى إحياءاً للسنة لأن أهل الشرِّ زادوا لما تخاذل الناس وتقاعسوا عن طلب حقوقهم!** وقد كان، فأيده الله وعاد حقه، وإنِّى والله قد وعيت هذا الدرس جيداً فكم أحذر إخوانى الدعاة كثيراً: إن الناس تنظر لكم وتقتدى بكم وإن لم تشعروا! فلا تفعلوا شيئاً أيها الدعاة إلا بعد أن تتأكدوا من أنكم على السنة أياً ما كان الفعل وإن صغر، فإن لم تتأكدوا جليَّاً من مطابقة الشرع فسلونى! لإن الحبيب عاتب أصحابه لما فعلوا ذلك مرة: ☐ **أو أنا بين ظهرانيكم!** ☐ أى كيف لا ترجعون لى وتسألونى وأنا بينكم! فاسمعوا واعو!

الموقف الثانى: قال الشيخ لأحدهم فى موقف رأى فيه رحمته الكبيرة ورقى معاملته لأهل بيته ﷺ فتعجب منها: " يابنى بيقولوا على لما باعمل كده باسمع كلام مراتى ودى مش أصول! **يا إبنى إمشِ زى الرسول! وسيب اللى يقول يقول!**".

ويوما ما قال الشيخ لأحد إخواننا الذى كان كثير البذل فى السرِّ لأهله وإخوانه؛ يطيِّب خاطرهم فى كلِّ الأوقات ولا يطالبهم بمثل معاملته لهم فقال له: **يابنى لا تظن أن الله يخفى عليه ما تفعل سراً! إن الله يراه ويثيب عليه الخير العميم وفوق ما تظن من النعيم!** .. وقد صدق ورأينا ذلك! ..

وفى موقف آخر قال له أحد الأحباب ياسيدى إن الله أكرم بعض زملائى فجالهم عقد وسافروا للعمل بالسعودية! فقال له على الفورا معلِّما ومنبِّها : وهوه اللى يجيله عقد بالسعودية يبقى ربنا كرمه! فاعتذر الأخ على الفور وقال عفواً ياسيدى هكذا يقول الناس! ولكن الشيخ لم يترك الكلمة العابرة تمر دون أن ينبه أبنائه لحقائق المعانى وبصائر الأمور وإن كانت عابرة!

أسأل الله تعالى ..... أن يجعل هذا الكتاب معينا لأهل الإيمان لمعرفة شعب الإيمان وأن يجعل سير الصالحين نوراً للسالكين وترويحاً للطالبين ...

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه المباركين .. وسلم فى كل وقت وحين تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ....

البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fawzyabuzeid٤٨@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بالعلماء العاملين، يوضحون لنا سبيل الله ورسوله، ويبينون لنا ما نحن في أمس الحاجة إليه من العلم والهدى لنسير على نور وبصيرة، حتى نتهى برضوان الله الأكبر مع الذين أنعم الله عليهم من الرسل والأنبياء والصيديقين والصالحين والشهداء ....

وذلك فضل الله على أمة رسوله ومصطفاه ﷺ .... فقد جعل الله العلماء بيننا أنجماً هادية ... وسرجاً مضيئة، تسعى بالنور بيننا هنا وهناك ... إمتداداً لحياة رسول الله الحقيقية، فإنهم ورثة علومه وأنواره ﷺ، ينفعون بها عباد الله في كل زمان ومكان يكونون فيه.

هذا وإنى أنا العبد الذليل، المفتقر إلى توفيق الله ومعونته في كل نفس من أنفاسى، قد كنت كتبت لنفسى ولإخوانى المسلمين، مختصراً حول شعب الإيمان التى ذكرها لنا سيدنا رسول الله ﷺ في حديثه الشريف:

﴿ الْايمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ﴾[7]

وقد بذلت قصارى جهدى في أن أوفِّي بالمطلوب أو أقترب منه، لعل إخوانى يجدون في هذا المختصر حاجتهم من معرفة شعب الإيمان.

وقد كتبته طمعاً في رحمة الله ورضوانه، رجاء أن يدوم أثره، وأن يدخلنى الله في عباده الصالحين قبل الموت وبعده، قال الشاعر الحكيم:

---

٧ رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومـــا مـــن كاتـــب إلا ســـيبلى ويبقى الـدهر مـا كتبـت يـداه
فـلا تكتـب بخطـك غيـر شـيء يسرُّك في القيامـة أن تـــراه

وقد بلغ ما جمعته في هذا الكتاب من الشعب .....:

تسعاً وسبعين شعبة من شعب الإيمان .....

هذا وبالله التوفيق، وعلى الله قصد السبيل.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

[١٠ الكهف].

وإننى أرجو من أخى القارئ الكريم العفو عن الزلات التى يجدها أثناء تصفح هذا الكتاب، فإننى عبدٌ خطاء ....

وخطئى أكثر من صوابى !!!

والله عفو كريم.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

محمد على سلامة

مدير مديرية أوقاف بورسعيد (الأسبق)

مقدمة شعب الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فرض الإيمان على جميع العقلاء من الإنس والجن والملائكة، فقال عزَّ شأنه: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ ﴾ [٨ التغابن]

والصلاة والسلام على أول المؤمنين، فقد قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[٢٨٥ البقرة]

فقد بينت تلك الآية الشريفة أن رسول الله ﷺ آمن أولاً بكل ما أنزله الله ﷻ إليه من الدِّين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن المؤمنون، أى: من هداهم الله للإيمان. وكذلك قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [٨١ الزخرف]

فقد بينت هذه الآية الشريفة أن رسول الله أول العابدين، والعبادة هى القيام بأوامر الله واجتناب نواهيه، ولا يقوم بهذه العبادة إلا مؤمن كامل الإيمان بالله الذي فرضها وأوجبها عليه، فأول العابدين هو أول المؤمنين ﷺ. والصلاة والسلام على آله وصحابته وورثته وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. (وبعد)

فقد قال رسول الله ﷺ: □ **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاها شَهَادَةُ أَن لا إِلهَ إلا اللّهُ، وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ** □[٨].

والإيمان هو تصديق القلب لرسول الله في كل ما أخبرنا به، وبهذا التصديق يكون الإنسان مؤمناً، وهذا التصديق له متعلقات كثيرة:

أولاً: تصديق القلب بأن الله واحد لا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله.

ثانياً: تصديق القلب بأن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين

---

٨ رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحق ليهدى الناس إلى صراط الله المستقيم، وأنه خاتم رسل الله وأنبياءه.

ثالثاً: تصديق القلب بأن الله أرسل قبله ﷺ رسلاً كثيرين لإخراج أممهم من الظلمات إلى النور، وأنهم بلغوا رسالات ربهم إلى عباده.

رابعاً: تصديق القلب بأن الله له ملائكة قائمون بأمر الله، (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون).

خامساً: تصديق القلب بكتب الله وشرائع الله التى أرسل بها رسله إلى الناس، من التوراه والإنجيل والزبور والقرآن وغيرها.

سادساً: تصديق القلب بالموت وما بعهده من حياة برزخية.

سابعاً: تصديق القلب بالبعث والنشور من القبور.

ثامنا: تصديق القلب بيوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب، وحساب وسؤال، وجنة ونار.

تاسعاً: تصديق القلب بقضاء الله وقدره، حلوه ومرّه، شرّه وخيره، وأن الكل من الله ﷻ.

والتصديق بكل هذه الحقائق لا يعتريه شك ولا ريب، من ساعة الإيمان بها إلى ساعة الموت. والتصديق عمل من أعمال القلوب، وهو التحقق بصحة الأخبار التى صدَّق بها، وبثبوتها واستقرارها. قال الإمام أبو العزائم ﷺ :

الصدق نور اليقين كشف الحقيقة به تنجلى الأسرار حال الشهادة

ومعنى (بِضْعُ): العدد من ثلاث إلى تسع، ومعنى (شعبة): غصن الشجرة وجمعها شعب، وذلك التعبير النبوى الشريف في غاية الإبداع، إذ أنه ﷺ جعل الإيمان شجرة، أصلها ثابت في قلب المؤمن وهو التصديق بما سبق ذكره، وشعبها وفروعها وأغصانها هى أعمال المؤمن وأقواله وأخلاقه، من العبادات والمعاملات والسلوكيات الشخصية.

وتلك الشعب جمعها رسول الله ﷺ في:

ثلاث وسبعين شعبة – أو ما يزيد عليها – إلى تسع وسبعين شعبة!

وذكر لنا سيدنا رسول الله أول هذه الشعب وأعلاها، وأجلها وأهمها:

وهى قول المؤمن: (لا إله إلا الله) فإنها:

- أساس الإسلام:

- وأول فرض فرضه الله على الإنسان بعد تصديق القلب بها، حتى يكون لفظ المؤمن معبراً عن ما في ضميره من الاعتقاد والتصديق.

- فيتَّحد ظاهر المؤمن بباطنه في العمل قلباً وقالباً، فيعتقد القلب الحقائق والمعانى، وينطق اللسان بالعبارات التى تبرز هذه المعانى من عالم الغيب والسر إلى عالم الشهادة والعلانية، وكلا الأمرين فرض أوجبه الله على المؤمن، فالاعتقاد والتصديق فريضة القلب، والنطق والإقرار فريضة اللسان، وكلاهما متمِّم للآخر، ولا غنى لأحدهما عن الثانى إلا في حالة عجز اللسان عن النطق، فيعبر بأى وسيلة أخرى من الكتابة أو الإشارة أو العمل الصالح الذي يدل على التصديق والإعتقاد والإنخراط في سلك المؤمنين.

ثم ذكر لنا رسول الله ﷺ أدنى الشعب، وأقل عمل يقوم به المؤمن من الخير والبرِّ والمعروف:

- وهو تنحية الأذى من طريق الناس ... من حجر أو شجر أو شوك أو قذر، أو تذليل مرتفع .... أو تسوية منخفض .... أو نحو ذلك مما يمهد طريق المارة ويعبِّده ولو لدابة وبهيمة.

وترك رسول الله ﷺ ذِكْرَ بقية الشُّعب والأقسام:

- حتى يجتهد المؤمن في التعرف عليها.

- ويعمل فكره وعقله ...!!! ويبحث حتى يكون على علم ويقين بأوامر الله وأحكامه، وآداب الله ورسوله؛ من الواجبات والمسنونات، والمندوبات والمستحبات.

- وكذلك يحيط علماً بالمحرمات والمكروهات والمباحات ....

- فيكون المؤمن عابداً لله ببحثه وطلبه للحكمة والمعرفة، فيصير بذلك من أهل محبة الله وأهل خشيته، سر قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [٥٦١ البقرة]، ..وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [٨٢ فاطر]

وبقية الشُّعب ذَكَرَهَا الله ﷻ في القرآن الكريم ....

وذَكَرَهَا رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة ....

وبفضل الله وتوفيقه سنذكرها في هذا المختصر على قدر الاستطاعة، حتى نقرّب على القارئ الكريم المسافة ونريحه من عناء البحث والتعب.

والله أسأل .....

أن يمُدَّنا برُوح من عنده، .....

وأن يمنحنا الرُّشد والصواب بجاه سيدنا رسول الله ﷺ ...

وهذه هى الشعب بين يديك:

فخذها هدية من الله ورسوله إليك ....

لتنال خير الدارين .... وسعادة الحياتين بعد أخذها والاستمساك بها.

الإقرار والاعتراف بأن اللّه هو الإله الحق، وأن محمداً عبده ورسوله

وهذا الإعتراف هو قول المؤمن: { **لا إله إلا الله محمد رسول الله** }، وهى كلمة التوحيد التى وحد المؤمن بها ربه ﷻ، ووصفه فيها بكل كمال يليق بجنابه العليّ، وقدَّسه فيها عن كل ما لا يليق به ﷻ، ثم أقرَّ فيها برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله ونبوته، قال ﷺ: □ **يا أَيُّها النّاسُ قولوا لا إله إلاّ الله تُفْلِحُوا** □[٩]، وقال ﷺ: { **أَفْضَلُ مَا قُلْته أَنَا وَالنّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إلا اللّهُ** }[١٠]،

وقال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [٩١ محمد]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا

---

٩ في سيرة ابن اسحاق ٤/٢١٥: عن طارق بن عبد الله ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ مرتين؛ رأيته بسوق ذى المجاز وأنا في بياعة لي فمرَّ وعليه حُلَّة حمراء فسمعته يقول: (يا أيها الناس، قولوا: لا اله الا الله تفلحوا)، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد أدمى كعبيه وهو يقول: يأيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذاب. فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا غلام من بني عبد المطلب، فقلت: من هذا الذي يرميه بالحجارة؟ فقيل: عمه عبد العزى، أبو لهب بن عبد المطلب. فلما أظهر الله الاسلام خرجنا من الربذة ومعنا ظعينة لنا حتى نزلنا قريبا من المدينة، فبتنا نحن في عود إذ أنا برجل عليه ثوبان فسلم علينا فقال: من أين أقبل القوم؟ فقلت: من الربذة، ومعنا جمل أحمر، فقال: تبيعون الجمل؟ فقلنا: نعم، فقال: بكم؟ فقلنا: بكذا وكذا صاعاً من تمر، فقال: قد أخذته وما استقضى، وأخذ بخطام الجمل فذهب به حتى توارى بحيطان المدينة. فقال بعضنا لبعض: تعرفون الرجل؟ فلم يكن منا أحد يعرفه، فلام القوم بعضهم بعضاً وقالوا: أتعطون جملكم من لا تعرفون؟ فقالت الظعينة: فلا تلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم، فما رأيت أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه. فلما كان العشي أتانا رجل فقال: السلام عليكم ورحمة الله، أأنتم الذين جئتم من الربذة؟ فقلنا: نعم، فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم، وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا، وتكتالوا حتى تستوفوا، فأكلنا من التمر حتى شبعنا، وأكتلنا حتى استوفينا، ثم قدمنا المدينة من الغد فاذا رسول الله ﷺ قائم يخطب الناس على المنبر، فسمعته يقول: (يد المعطي العليا، وابدأ بمن تعول؛ أمك وأباك، وأختك وأخاك، وأدناك أدناك)، وثم رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ﷺ، هاؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلاناً في الجاهلية فخذ لنا بثأرنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه – حتى رأيت بياض أبطيه، فقال: لا تجني أم علي ولد، لا تجني أم علي ولد. وروى النسائي وابن خزيمة والحاكم والبيهقي وابنْ أبي شيبة عن طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سُوقِ عُكَاظَ وَهُوَ يُنَادِي: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا)، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ بِالْحِجَارَةِ وَقَدْ أَدْمَى كَعْبَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا غُلامٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ عَبْدُ الْعُزَّى, يَعْنِي: أَبَا لَهَبٍ.

١٠ رواه الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه.

بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٨١ آل عمران]

وإن أصغر مسلم من أهل العلم بالله حيث قد شهد بأنه: (لا إله إلا الله). والشهادة هى الإقرار والاعتراف بما رآه أو علمه أو صدق به. وكما يقولون: الإعتراف أو الأدلة على ثبوت الأمر المعترف به في نفس المقر والمعترف.

وقد تكون الشهادة هى مشاهدة عين السرّ والبصيرة لمعانى الألوهية وأسرارها – وهى شهادة أهل العلم الراسخين والملائكة المقربين. أما شهادة الله سبحانه لذاته فهى توحيد الله نفسه بنفسه، وتمجيد الله نفسه بنفسه، وتقديس الله نفسه بنفسه، وتعظيم الله نفسه بنفسه.

والمعنى أن الله ﷻ ليس في حاجة إلى شهادة أحد من خلقه، إذ أن شهادته سبحانه لنفسه هى أكبر وأعظم من شهادة جميع العالمين، قال الله تعالى فى [٩١ الأنعام] : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

ولكن عباده هم الذين في أمس الحاجة إلى هذه الشهادة، لأنها تنفعهم في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: (**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**)[١١].

وقال ﷺ: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**)[١٢].

ودائماً وأبداً قول لا إله إلا الله يستلزم قول محمد رسول الله..:

---

١١ رواه الطبراني من حديث زيد بن الأرقم رضي الله عنه.

١٢ متفق عليه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول)) :أمرت أن أقاتل الناس حتى ((...الحديث).

إذ أنها قرينتها في كل ذكر وإقرار وشهادة، ولا تصح شهادة منهما بدون الأخرى ولا تقبل عند الله عز وجل.

وإنما الذي ورد في الأحاديث، وفي الآية الشريفة لا إله إلا الله، دون محمد رسول الله لأن الأولى هى الأصل، والثانية فرع لها، وكل أصل مشتمل على فرعه ضمنا واستلزاماً.

فإذا قال المؤمن لا إله إلا الله بلسانه: فإن قلبه يلاحظ ويستحضر محمداً رسول الله. حتى يكون ذاكراً لله ورسوله، وفاكراً لله ورسوله، ومثنياً على الله بما هو أهله من تفريده بالألوهية، ومثنياً على رسول الله بما هو أهله من تخصيصه بالرسالة.

الشعبة الثانية

إقامة الصلاة

في أوقاتها بشروطها وأركانها .. كما كان يؤديها رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾[٣١ إبراهيم].، وقال: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢٣٨ البقرة]

وقال ﷺ: □ **صلوا كما رأيتمونى أصلى**□ [١٣].

[١٣] متفق عليه عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ).

وإقامة الصلاة يعنى :

أن يجعل لها المصلي وجوداً قائماً في عالم الحقائق:

حتى أن الملائكة تصعد بها إلى الله ﷻ فتتفتح لها أبواب السموات، وللصلاة لسان يقول لصاحبها: { **حَفِظَكَ اللّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي** □(أخرجه الطيالسى عن عبادة بن الصامت).

وقد أثنى الله على المصلين بقوله ﷻ :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [١- ٢ المؤمنون]

والخشوع في الصلاة:

- هو رعاية القلب لعظمة الله وجلاله.
- وملاحظة الفكر لمعاني حركات الصلاة وقراءاتها وأذكارها وتسبيحاتها.
- واستحضار الرُّوح صورة صلاة رسول الله ﷺ .... حتى يصلي المؤمن على هيئتها.
- وقد يبلغ المصلي مقاماً يقتدى فيه برسول الله ﷺ حين إقامته الصلاة.

وللمصلين مشاهد جلَّت عن الحصر والعدّ.

فإن كلَّ مُصَلٍّ له مع الله حالٌ لا يكون لغيره من المصلين ....

لأن الصلاة مناجاة بين العبد وربّه ....

ولو علم المصلي من يناجى ما خرج من صلاته :

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾[٤٠ إبراهيم]

إيتاء الزكاة

والإيتاء معناه: الإعطاء.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [١٧٧ البقرة]

أى أعطى المال النفيس المحبوب له. والزكاة معناها: الزيادة والبركة والنماء، وعلى ذلك يكون المزكّي يعطي من الزيادة المتكاثرة والبركة المطردة في ماله، لأن المؤمن الذي آمن بوجوب الزكاة في ماله ونوى إخراجها لأهله، حصلت له بركة عظيمة في ماله، وكثرت خيراته بمجرد نيته وصدق عزيمته. ومن هنا فإن من يأخذها يغنيه الله بها، لأنها تنمو عنده وتتكاثر لأن البركة فيها، حيث أن المزكّى قدَّمها لأخيه المحتاج إطاعة لأمر الله، والبركة كلها والخير كله يكون في إطاعة أمر الله ورسوله، وقد جاءت هذه النعم المتتابعة بفضل المسارعة إلى امتثال أمر الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ.

والزكاة حق معلوم وقدر معروف بينته الشريعة في مال المزكّي، يدفعه طائعاً ومقتنعاً به لأصحابه الذين فرضه الله لهم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [المعارج]

ومن رحمة الله بالأغنياء، ومن فضله عليهم أن جعل هناك أصحاب حاجات

يأخذون منهم زكاتهم، قال الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [١٠٣ التوبة]

فأصبحت الزكاة تطهيراً للغنيّ من الأمراض الظاهرة والباطنة. والأمراض الظاهرة معروفة، أما الأمراض الباطنة فهى: الشُّح والبخل والتقتير، وإيثار حب المال على طاعة الله ورسوله، والخوف من الفقر، وما إلى ذلك من الأمراض المهلكة. ﴿ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ يعنى: تباركهم بها، وتشفع لهم بها، وتشهد لهم بها عند الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ [٤ المؤمنون]

وقد جاء الأمر في صيغة الخبر، وهو أبلغ في الدلالة على الوجوب منه في صيغة الأمر، حيث أدى معنىً سامياً فوق الوجوب، وهو المدح من الله لمن يعطى الزكاة. والمعنى: أنهم قائمون بأداء هذه الفريضة بالفعل، على وجه الإلتزام والاستمرار، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: **خذ من أغنيائهم صدقة تردها في فقرائهم**[١٤].

صوم رمضان

والصوم هو عبادة كل جارحة من الجوارح بما يناسبها من الواجبات التى أمر الله بها، إمتناعاً وكفاً، أو عملاً وفعلاً:

فمثلاً يمتنع الإنسان عن الأكل والشرب، ويشغل وقته بالذكر والشكر، وعمل الخيرات والبرّ. وتصوم العين عن النظر بشهوة إلى الزوجة، وتنظر في كتاب الله، أو حديث رسوله، أو مصالح أهله ومصالح الناس، حتى يكون الصائم في مجاهدات

١٤ رواه البخاري عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

عظيمة، ينال بعدها الفوز والفلاح، والهداية والنجاح، قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [٦٩ العنكبوت]

فالصوم هو: ترك الأكل والشرب والنكاح والشهوات المباحة، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، عبادة لله ﷻ بنيَّة مخصوصة.

ولقد تعبَّدنا الله بالصوم لنتمرن على مقاومة الغرائز والحظوظ، والأطماع والشهوات المُحرَّمة، ولنصبر في مجاهدة الكافرين ومنازلتهم. ومن ناحية أخرى لتجف المعدة من الرطوبات، وتتخلص من العفونات المتخلفة بها طول العام، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [١٨٣ البقرة]

أما الصوم عن الأمور المحرمة فذلك فرضه الله علينا في شهر رمضان وفي غيره من الشهور بصفة مستمرة، وصوم رمضان يزيد على ذلك بترك المباحات والشهوة الحلال.

الحَجُّ

وهو فريضة العمر، وهو قصد البيت الحرام لأداء فريضة الحج، وهو الهجرة إلى الله ﷻ وتأدية المناسك والشعائر التى يشعر المؤمن بأنه متنقل ومرتحل من مكان إلى آخر، ومن حال إلى آخر، ومن نسك إلى نسك آخر. وهذا هو حقيقة الهجرة إلى الله ورسوله طلباً لرحمة الله ومغفرته، وسعيًّا في مرضاة الله ورسوله، وطمعاً في رضوان الله الأكبر. قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلاًۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ

غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٧٩ آل عمران]

وقال ﷺ: ﴿ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ ﴾[15]

الشعبة السادسة

العُمْرَةُ

وهى فريضة في العمر مرة، وجعل الله وقتها في جميع أيام السنة ما عدا أيام الحج؛ وهى التاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر من ذى الحجة. وقد جعلها الله في جميع السنة ما عدا هذه الأيام ليهاجر المؤمن إلى الله ورسوله في أى وقت شاء من عمره. لأنها هجرة كالحج إلى الله ورسوله.

قال الإمام أبو العزائم ﷺ: **((الهجرة ثلاث: هجرة إلى بيت الله بأمر الله. وهجرة من الدنيا إلى الآخرة بفضل الله. وهجرة به منك إليه))**.

والهجرة من الدنيا يعنى: متعها وزخارفها وطيباتها التى أباحها الله زهداً فيها ورغبة في الآخرة، قال تعالى:

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [١٩٦ البقرة]

وقد أدى رسول الله عمرة القضاء عن عام الحديبية، هو وجميع أصحابه الذين كانوا معه في عام الحديبية، حيث أن المشركين بمكة ردُّوهم عن أداء العمرة في هذا العام على أن يؤدوها في العام القادم بعد الصلح الذي وقعه معهم الرسول ﷺ.

والعمرة هى الحج الأصغر، والحج هو الحج الأكبر، لما فيه من المجاهدات

---

١٥ رواه مسلم والنسائى من حديث جابر.

الفادحة التى لم تكن في العمرة؛ من الوقوف بعرفة، ورمى الجمار، والمبيت بمنى، والزحف إلى منى يوم التروية، والتحرك منها إلى عرفة من فجر يومها، والإفاضة من عرفة إلى المزدلفة بعد غروب الشمس، والمبيت بها، وجمع الجمار منها – وكثير من الأعمال المتواصلة ليلاً ونهاراً مدة أيام الحج – بخلاف العمرة فإنها لا تستغرق أكثر من ساعتين من الزمن.

وقد جعلها الله فرضاً لأن كثيراً من الناس لا يقدرون على مشقات الحج ومجاهداته فيقعدون عنه بحكم عدم الإستطاعة، لضعف أو مرض أو كبر، ولكنهم يقدرون على أداء العمرة، فلم يحرمهم الله من إكرامهم بالحج الأصغر على قدر طاقتهم. فإن الله رحيم بعباده، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

الشعبة السابعة

الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ورسوله

وقهر الظلمة والمستبدين بخلق الله، والصادِّين لهم عن دين الله الحق. وهذا الجهاد فرض كفاية على المسلمين، إن قام به البعض سقط عن الباقين. وقد يكون الجهاد فريضة على كل مسلم – بقدر استطاعته – عندما يعتدى العدو الكافر على بلاد المسلمين ودينهم وعرضهم.

والقتال له أساليب متعددة؛ فإن الحرب خدعة، وقال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه في غزوة الأحزاب : □ **خذِّل عنا يا فلان** □[١٦]، أى: ادفع العدو عنا وذبَّه

---

١٦ روى أبو داود والدارمي وأحمد وغيرهم عن جابر ﷺ: قَالَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ: كُنْتُ أُقْدُمُ عَلَى كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ بِبَنِي قُرَيْظَةَ فَأُقِيمُ عِنْدَهُمُ الأَيَّامَ، أَشْرَبُ مِنْ شَرَابِهِمْ وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِمْ، ثُمَّ يُحَمِّلُونِي تَمْرًا عَلَى رِكَابِي مَا كَانَتْ فَأَرْجِعُ بِهِ إِلَى أَهْلِي، فَلَمَّا سَارَتِ الأَحْزَابُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرْتُ مَعَ قَوْمِي وَأَنَا عَلَى دِينِي ذَلِكَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِي عَارِفًا، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِيَ الإِسْلامَ، فَكَتَمْتُ ذَلِكَ قَوْمِي، وَأَخْرُجُ حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَأَجِدُهُ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَآنِي جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: (مَا جَاءَ بِكَ يَا نُعَيْمُ؟ قُلْتُ: إِنِّي جِئْتُ أُصَدِّقُكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ

بحكمتك وخبرتك وسياستك. وهذا لون من ألوان الحرب السياسية التى يقولون عنها الآن. والجهاد ماضٍ في هذه الأمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها[17]، وما تركه قوم إلا أذلَّهم الله[18].

قال تعالى: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ [٨٤ النساء]، وقال جل شأنه: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [١٩٠ البقرة].

والجهاد لإعلاء كلمة الله – الذي هو فرض الكفاية – يقوم به أولاً العلماء، ويكون بعرض الإسلام على الكافرين وعلى أهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة،

حَقٌّ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تُخَذِّلَ عَنَّا النَّاسَ فَخَذِّلْ، قَالَ: قُلْتُ: وَلَكِنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ مَا بَدَا لَكَ فَأَنْتَ فِي حِلٍّ، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَقُلْتُ: اكْتُمُوا عَنِّي، اكْتُمُوا عَنِّي، قَالُوا: نَفْعَلُ، فَقُلْتُ: إِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ عَلَى الانْصِرَافِ عَنْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ إِنْ أَصَابُوا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِلا اسْتَمَرُّوا إِلَى بِلادِهِمْ، فَلا تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا، قَالُوا: أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ عَلَيْنَا وَالنُّصْحِ لَنَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَقَالَ: قَدْ جِئْتُكَ بِنَصِيحَةٍ فَاكْتُمْ عَنِّي، قَالَ: أَفْعَلُ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ قُرَيْظَةَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ وَأَرَادُوا إِصْلاحَهُ وَمُرَاجَعَتَهُ، أَرْسِلُوا إِلَيْهِ وَأَنَا عِنْدَهُمْ: أَنَّا سَنَأْخُذُ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنْ أَشْرَافِهِمْ نُسَلِّمُهُمْ إِلَيْكَ تَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ وَنَكُونُ مَعَكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ حَتَّى نَرُدَّهُمْ عَنْكَ وَتُرَدُّ جُنَاحُنَا الَّذِي كُسِرَتْ إِلَى دِيَارِهِمْ، يَعْنِي بَنِي النَّضِيرِ، فَإِنْ بَعَثُوا إِلَيْكُمْ يَسْأَلُونَكُمْ رَهْنًا فَلا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَحَدًا وَاحْذَرُوهُمْ، ثُمَّ أَتَى غَطَفَانَ فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ، وَكَانَ رَجُلا مِنْهُمْ فَصَدَّقُوهُ، وَأَرْسَلَتْ قُرَيْظَةُ إِلَى قُرَيْشٍ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَخْرُجُ فَنُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا مِنْكُمْ يَكُونُونَ عِنْدَنَا، فَإِنَّا نَتَخَوَّفُ أَنْ تَنْكَشِفُوا وَتَدَعُونَا وَمُحَمَّدًا، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هَذَا مَا قَالَ نُعَيْمٌ، وَأَرْسَلُوا إِلَى غَطَفَانَ مَا أَرْسَلُوا إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالُوا جَمِيعًا: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُعْطِيكُمْ رَهْنًا وَلَكِنِ اخْرُجُوا فَقَاتِلُوا مَعَنَا، فَقَالَتْ يَهُودُ: نَحْلِفُ بِالتَّوْرَاةِ أَنَّ الْخَبَرَ الَّذِي قَالَ نُعَيْمٌ لَحَقٌّ، وَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ يَقُولُونَ: الْخَبَرُ مَا قَالَ نُعَيْمٌ، وَيَئِسَ هَؤُلاءِ مِنْ نَصْرِ هَؤُلاءِ، وَهَؤُلاءِ مِنْ نَصْرِ هَؤُلاءِ، وَاخْتَلَفَ أَمْرُهُمْ وَتَفَرَّقُوا، فَكَانَ نُعَيْمٌ يَقُولُ: أَنَا خَذَّلْتُ بَيْنَ الأَحْزَابِ حَتَّى تَفَرَّقُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَأَنَا أَمِينُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى سِرِّهِ، وَكَانَ صَحِيحَ الإِسْلامِ بَعْدَ ذَلِكَ). قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَهَاجَرَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَسَكَنَ الْمَدِينَةَ وَوَلَدُهُ بِهَا، وَكَانَ يَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى تَبُوكَ إِلَى قَوْمِهِ لِيَسْتَنْفِرَهُمْ إِلَى غَزْوِ عَدُوِّهِمْ.

١٧ روى أبو داود عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله؛ ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال؛ لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار). وروى الطبراني عن أبي بكر الصديق ﷺ قال رسول الله ﷺ: (ما ترك قوم الجهاد إلا عمَّهم الله بعذاب).

١٨ روى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر ﷺ، عن النبي ﷺقال: (إذاتبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم).

وبالأسلوب اللين والمشوق، وذلك ببيان محاسن الإسلام، وكمالاته وجمالاته – نظرياً وعمليا – أمامهم، وبيان مثالب الكفر ومخاذيه، ومساوئه وآثاره الضارة على العقول والأجسام، وعلى الأفراد والجماعات. وهذه الدعوة تكون بجميع الوسائل والأجهزة التي توصلها إليهم، وذلك بنزول العلماء والمرشدين إلى ديارهم، وبالإذاعة والتليفزيون والكتب والرسائل، وجميع وسائل النشر والإعلام. والذين يقفون في سبيل التبشير بالإسلام ويمنعون وصول هذا الخير للناس، ويصدون عن سبيل الله، يجب على المسلمين أن يتخذوا منهم موقفاً حاسماً، ومجاهدتهم بقدر الإستطاعة، ولو بمنع بضاعتهم وسلعهم من أسواق المسلمين، وحرمانهم مما يحتاجون من خيرات المسلمين وحاصلاتهم وخامات بلادهم، وهنا يكون المسلمون قد غاروا لله ولرسوله ولدينه، وسيجدون عوض ذلك أضعافاً مضاعفة، سر قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا ۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [٢٨ التوبه]

لأن العمل من أجل الله مهما كان، فإن جزاءه ونتائجه المترتبة عليه، تقع على الله ﷻ. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [١٠٠ النساء].

وذلك مبدأ في كل عمل يقوم به المؤمن من أجل الله ورسوله وليس في الهجرة فحسب. والحمد لله قد قام المسلمون الآن بدور كبير في هذا المجال ولكن في إستطاعة المسلمين بفضل الله أن يعملوا الكثير والكثير من أجل الجهاد لإعلاء دين الله وكلمة الله، وهذا هو الجهاد الأكبر الذي مدحنا الله من أجله بقوله سبحانه: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا

عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡ ۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [٧٨ الحج]

اللهم جدِّد لنا وبنا هذه الفرائض بجاه المصطفي وبحقه ﷺ حتى يعود للإسلام عزُّه ومجده، إنك سبحانك نعم المولى ونعم النصير.

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وهو فرض عين على العلماء المتمكنين الراسخين في العلم. والأمر بالمعروف هو بيان الخير والهدى، والواجبات والسنن للمسلمين، وأمرهم بها بصفة مستمرة في كل وقت، حتى يعيش المسلمون في حالة التذكر الدائم، ولا يغيب عنهم شئٌ من أمور دينهم، لأن العلماء يسعون بينهم بنور الله الذي وهبه لهم، □ **فَإِنَّهُمْ سُرُجُ الدُّنْيَا وَمَصَابِيحُ الآخِرَةِ** □[١٩]. قال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [١٠٤ آل عمران]

وتوصيتهم للناس بهذه الأحكام والآداب، إنما يكون بالطريق المعروف عن رسول الله ﷺ وصحابته وأئمة الهدى في هذا الشأن، حتى يستميلوا قلوب الناس ومشاعرهم إلى دين الله، قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [١٠٨ يوسف]

وتسبيح الله في هذا المقام يفيد تعجب رسول الله ﷺ ومن على نهجه، من الإنسان الذي لا يهتدى بعد دعوته بهذا الأسلوب الكريم، الذي يجعل الأحجار والأشجار تحن لصاحبه وتستجيب إليه فما بال هذا الإنسان المتحجر القلب،

١٩ الحديث { اتَّبِعُوا الْعُلَمَاءَ فَإِنَّهُمْ سُرُجُ الدُّنْيَا وَمَصَابِيحُ الآخِرَةِ} عن أَنَسٍ ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل.

القاسى الفؤاد: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [٧٤ البقرة].

والنهى عن المنكر إنما يكون بتوضيح المنكر وبيانه للمسلمين، وإظهار فضائحه وفظائعه وآثاره المؤلمة على المسلمين في كل نواحى حياتهم، وبيان وعيد الله وعذابه للمرتكبين له في الآخرة، حتى يقشعر جسم المؤمن وترعوى نفسه وينزعج قلبه، فيتوب إلى الله ويندم على ما فعله.

وتوجيه النصح في هذا الشأن يكون مرتبطاً بالغاية المرجوة منه وهو هداية الناس وتخليصهم من المنكرات. ولا يكون بالتشنيع عليهم أو التعريض بهم، أو مسِّ مشاعرهم من قريب أو بعيد، فإن ذلك ينفِّرهم من الدِّين ويحرمهم من نور التوبة والإنابة إلى الله.

وكذلك يكون التوجيه مشمولاً ببيان وسعة رحمة الله ومغفرته وإكرامه للتائبين، وحبه لهم، وثناءه عليهم بعبارات تشد القلوب وتجذب النفوس إلى فضل الله ورحمته، ولكل موقف من تلك المواقف حديث يتناسب معه، وحوار يتجلَّى فيه الصبر والحلم والرحمة بعباد الله من الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر، وكم أفسد الجهال أمثالي قلوب المسلمين وأحوالهم بالأسلوب الخشن والقول الجاف والكلام الغليظ، مما أنتج النتائج العكسية، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

ومن هنا كان الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر لابد وأن يكون حكيماً حليما، رحيماً صبوراً، قبل أن يكون عالماً، لأنه يأمر المسلمين وينهاهم، والمسلمون رحماء فيما بينهم، رزقنا الله سبحانه الأهلية لهذا العمل المجيد إنه مجيب الدعاء.

الإحسان إلي الوالدين

وإنما يكون ذلك بإطاعة أمرهما وبرهم، وإسداء الخير إليهما، وإعطائهما الرضا من نفسك ولا تؤثر نفسك عليهما بشيء، ولا تقدم لهما ما يحزنهما ويسوءهما، وكن لهما في كبرهما وشيخوختهما كما كانا لك في صغرك وطفولتك، والدعاء لهما بالرحمة والمغفرة في حال حياتهما ومماتهما.

وفي تعبير الله ﷻ بقوله: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [٣٦ النساء].

بيانٌ أسكر النفوس وأدهش الألباب، ذلك لأن الإحسان هو الزيادة على الواجب لهما مما لابد منه، من غذاء وشراب ولباس ومسكن يليق بهما، وتلبية نداءهما وطلبهما. والإحسان هو تقديم الفاكهة والحلوى والمرطبات بعد الأكل، وتقديم الرقيق والناعم والثمين من الملابس، وتقديم المسكن المكيف المريح والمجهز بالأثاث الكريم، وغير ذلك من الأمور التي تضفي البهجة والسرور عليهما، قال تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [٢٣ الإسراء] ، ولما كان الكِبَر والشيخوخة تضعف فيها العظام والقوى البشرية ويحتاج صاحبها إلى كثير من المساعدة والمعاونة، والصبر والتحمل بصفة مستمرة، كان ذلك مظنة تأفف الأبناء من أبائهم وأمهاتهم. والتأفف كلمة معناها التضجر والتألم من كثرة إحتياجات الوالدين في هذه السن، ولذلك فقد حرَّم الله على الأبناء قول (أفٍّ) لهما أو لأحدهما، لأن هذه الكلمة تؤثر على الأبوين وتحزنهما، ولا يصح أن يقول الابن تلك الكلمة أمامهما ولا من خلفهما.

وتلك الرعاية من الله للوالدين تعطى الأبناء مؤشراً كبيراً جداً على عظم حقّ الوالدين، الذي قرنه الله سبحانه وتعالى بعبادته حيث قال: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [٣٦ النساء]

وقال سبحانه: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [١٤ لقمان]

وقال ﷺ: **رِضَا الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ , وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِينِ**[٢٠]، وذلك لأن الوالدين هما السبب المباشر في وجود الإنسان، وبعد ذلك قاما بتربيته ورعايته بالعطف والرحمة والحنان، وتوفير الهناءة والسعادة له في كل مراحل حياته، والقيام على شأنه وتدبير أمره بالحب والإخلاص، كل ذلك بدون مقابل، ولذلك لما أمر الله الإنسان بالدعاء لوالديه في قوله عز شأنه: ﴿ **وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا** ﴾ [٢٤ الإسراء]

وهو دعاء في غاية الضراعة إلى الله ﷻ بأن يتفضل عليهما برحمته بدون عمل منهما يستحق هذه الرحمة، كما عطفا علىَّ وربيانى في طفولتى من غير أن أقدم إليهما شيئاً أستحق عليه شيئاً من هذه التربية والرعاية والحنان. ثم نهى الله المؤمن عن نهر والديه أو أحدهما، فقد أنزلهما الله منزلة السائل حيث أنهما في حال الكبر صارا لا يملكان شيئاً من متاع الدنيا، فيطلبان من ولدهما كما كان يطلب الولد أثناء صغره. وإذا كان لا يجوز نهر السائل العادى، فإنه في الوالدين أكبر إثماً.

والنهر هو الشق في الأرض من أثر جرى الماء واندفاعه، فكان كذلك نهر الوالدين يجرح مشاعرهما، ويصدع قلوبهما، ويؤذيهما إيذاءً بليغاً، لأن كلمة السوء تندفع نحوهما فتحدث شرخاً في نفوسهما لا يكاد يبرأ ولا يلتئم، قال الحكيم:

جراحات الطعان لها إلتئام ولا يلتئم ما جرح اللسان

لأن هذا الجرح جرحه أعز الأعزاء، وقد كان المرجو منه أن يداوى الجراح ويواسى الأتراح. ولكنها شقاوة حلَّت به وسيجنى مرارتها في الدنيا، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ...رب اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا.

٢٠ رواه الطبرانى في الكبير عن ابن عمر .

إعطاء القريب حقه

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾. [٢٦، الإسراء].

وأقرباء الإنسان هم أبناء أبيه وأمه، أو أبناء واحد منهما وهم الأخوة والأخوات، وأصول أبيه وأمه، وهم الأجداد والجدات والمساوون لأبيه وأمه، وهم الأعمام والعمات والأخوال والخالات وهؤلاء جميعاً لهم حقوق قررتها الشريعة الإسلامية في مواضعها من المواريث وغيرها، وليس هذا المختصر يتسع لها، فمن أراد الإطلاع عليها فليرجع إليها في كتب الفقه الإسلامى. فسيجد فيه ما يشفي صدره من البيان والهدى.

وتلك الحقوق يجب على المؤمن أن يدفعها لأصحابها راضية بها نفسه، لأنه بذلك إنما يقوم بتنفيذ تعاليم الله وأحكامه، ويقدم من نفسه الطاعة لله ورسوله محتسباً بذلك وجه الله، وطامعاً في رضوانه وكرمه. فليست هذه الحقوق مغرماً أو جباية، وإنما هى فرائض فرضها الله على المسلمين يؤدونها لله رب العالمين.

ألا فليتدبر كل مؤمن أحكام الله في هذا المجال، فإنها تخفي على كثير من الجهال أمثالى، فيظنون أنهم يمنحون أقاربهم شيئاً من جيوبهم وليس حقاً مقرراً في دين الله لهم، فيجب علينا أن نؤمن بالدين كله، وبالقرآن كله، وبالأحكام الشرعية كلها، وليتق كل واحد منا ربه في هذه الناحية، فإن مرارة الظلم فيها تكون فادحة. قال الله تعالى:

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾. [١٩الفرقان].

وقال الحكيم:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام

وذلك لأن أواصر الدم والنسب، وعلاقة القرابة، تدفع العاقل إلى احترام هذه الصلات، وتقدير هذه المودات، فإن دواعى التراحم والتعاطف، ودواعى العدل والإنصاف، أقوى بكثير منها مع غير الأقارب. لأن القرابة تزيد رابطة الإيمان والإسلام قوى وعزاً.

فإذا كان المؤمن مطالب بتلك المعانى مع الأجانب من المسلمين فهى مع الأقربين أشد إلحاحاً. وأعظم مطالبة.

صلة الأرحام

والأرحام عن الأقارب أيضاً. فإذا كان القريب ليس له حق عندك أوجبته الشريعة كما تقدم ذكره في الشعبة العاشرة، فإن له عليك حق الصلة.

والصلة هى أن تنفح قريبك مما رزقك الله. كثيراً كان ذلك أو قليلاً من غير أن تنتظر منه مقابلاً لذلك. لأنك تصله بحكم الرحم الذي بينك وبينه والذي يفرض عليك هذه الصلة. قال ﷺ: **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**، وقال ﷺ: **لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ مَنْ إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**[٢١] ، وقال الله في الحديث القدسى: **أنا الرحمن وهى الرحم اشتققت له إسما من إسمى فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته**[٢٢].

وصلة الرحم أمر زائد على حق ذى الرحم. وذلك حتى يقوى الترابط

---

٢١ حديث (من سره) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، والثانسالبيهقي في شعب الإيمان عن عمر.
٢٢ الحكيم عن ابن عباس.

والتماسك الأسرى. وتنمو وتزداد المحبة بين الأقارب والأرحام. ويرضى الله ورسوله. ويعم الرخاء والأمن.

قال الله تعالى ناعياً على الكافرين أمرهم: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾.[محمد]، وليس هناك تشنيع ولا تقريع ولا تهديد أفظع من ذلك الذي توعدهم الله به.

كم من المسلمين من أصيب بما أصيب به أهل الكفر بالله !؟. والعياذ بالله. فكم منهم من هجر الأرحام. وقطع أسباب الصلات والعلاقات الكريمة فيما بينهم بل إن منهم من يتمادى في ذلك إلى أبعد مدى ويقول: (إللى يزورنى أزوره، واللى يجينى أروح له، واللى يسأل عنى أسأل عنه). إلى غير ذلك من عبارات أهل الجهل بدين الله. ويظن المسكين أنه على حق !!

وهناك من المسلمين من يرتكب حماقات أكبر من ذلك. فيسيء إلى أرحامه وأقاربه ويؤذيهم. علاوة على قطيعتهم. وذلك أنكى جرما وأشد إثماً.

وهذه الأمراض علاجها في الإيمان بما جاء عن الله وعن رسوله في هذه الناحية من أحكام وآداب. والاقتناع بها. والرجوع إليها والاعتصام بها. فإنها الشفاء من هذه الآلام والأسقام الروحانية والدينية.

وسماها الله رحماً إما لأنهم يجتمعون ويلتقون في رحم أم واحدة، وإما لأنهم متراحمون فيما بينهم بحكم الفطرة والعادة لقرابتهم من بعضهم، وإما لأن الله رحمهم ببعضهم فرحم الآباء والأمهات أبناءهم وأحفادهم ورحم الأبناء آباءهم وأمهاتهم وأجدادهم وما تفرع منهم. وذلك لأن الله ألقى في قلوبهم هذه الرحمة. وإن الذي يشذ عن هذه الفطرة فقد اعتراه داء عضال ومرض مهلك. وهو الصَّمَمُ والعمى.

وعليه أن يتناول الشفاء من يمين الله ﷻ ويمين رسوله ﷺ والله يهدينا إلى سواء السبيل.

الشعبة الثانية عشر

إكرام الجار.

والجار هو من يجاور الإنسان في بيته أو عمله. وسمي بذلك أيضاً لأن له عليك حق الإجارة. أى الإنقياد والإغاثة والمعونة في كل الملمات والمهمات. إذ أنك أول من يحس به ويشعر بحاجاته لمجاورتك له. ومن هنا يقول رسول الله ﷺ: **مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**[٢٣] ويقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾. [٣٦النساء].

وحقوق الجار:

- أن تحسن معاشرته.
- وأن تمنع عنه أذاك .
- وأن تستر عورته.
- وأن تعفو عن زلاته.
- وأن تغيثه في لهفته. وأن تساعده في حاجته.
- وأن تسأل عنه إذا غاب عنك.

---

٢٣ متفق عليه من حديث عائشة.

- وأن تسلم عليه وتصافحه وتبش في وجهه عند لقاءه .
- وأن تعوده إذا مرض، وأن تشيع جنازته إذا مات.
- وأن تغرف له من طعامك إن كان محروما منه.
- وأن تحافظ على مشاعره في كل مناسبة.

والجار أحد أشخاص ثلاثة:

- إما أن يكون قريبك، فله حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام.
- وإما أن يكون أجنبيا، فله حق الجوار وحق الإسلام.
- وإما أن يكون غير مسلم، فله حق الجوار.

أما حق الجوار فقد أشرنا إليه وهو حق كل جار على جاره، مسلما وغير مسلم، قريبا وغير قريب.

أما حق القرابة فقد سبق تقريره في الشعبتين العاشرة والحادية عشر.

وأما حق الإسلام:

- فهو إسداء النصح والتوجيه له في الدين.
- والتعاون معه على البر والتقوى.
- والتآخى معه في الله ورسوله.
- وإيثاره على نفسك بما يحتاج إليه، وأن تبره هو وأولاده.
- وأن تعلمه مما علمك الله.
- وأن تتواصى معه بالحق والصبر والمرحمة.

- وأن تأخذ بيده وتنقذه في عثراته.
- وأن تذكر محاسنه وتسكت على مساوئه وتداريها.
- وأن تترفق معه في الأمر كله، يسره وعسره، فرحه وحزنه.
- وأن تنزله منك منزلة نفسك في كل شئ، قال ﷺ: **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ويكره لأخيه ما يكره لنفسه**[٢٤]، ولا يكون الأمر كذلك حتى تحبه هو أولا مثل حبك لنفسك، ثم تحب له الخير الذي تحبه لك، وتكره له الشر الذي تكرهه لك، قال الشاعر الحكيم:

صديقك من صفا لك في البعاد وجارك من أذم على الوداد

يعنى إعطاك عهداً وذمة على الوفاء والمحبة.

وقد يكون الجار جائراَ، ويجب على جاره حينئذ :

- أن يصبر ويحتسب، ويدفع بالتي هى أحسن.
- وأن يقابل السيئة بالحسنة فإنه بذلك لا يلبث إلا أن ينقلب صديقاً حميماً وأخاً وفياً. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾.[٣٤فصلت]، وقد استعاذ نبي الله داود من جار السوء، فقال عليه السلام في دعاءه الطويل: **وأعوذ بك من جار سوء إن رأى مني حسنة كتمها وإن رأى سيئة نشرها**، ولقد قال رسول الله ﷺ: **وَاللَّه لا يُؤْمِنُ وَاللَّه لا يُؤْمِنُ, وَاللَّه لا يُؤْمِنُ، قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ:

---

٢٤ رواه مسلم عن عائشة.

☐ **لا يبيتن أحدكم شبعان وجاره جائع وهو يعلم فإن الملائكة تلعنه**
☐[٢٥] **وذلك لأنه يعلم بحاله ولم يقدم له ما يسد به رمقه.**

رعاية اليتيم والمحافظة على ماله.

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴾ [٢النساء].

واليتيم هوالذي فقد أباه بموت أو بغيبة كبيرة ـ بحيث يحل لأمرأته أن تتزوج غيره ـ ولا يعرف عنه شيء، ويلحق به أبن المجنون الذي لا يفيق وابن السفيه الذي لا يحسن التصرف.

فإنه يجب التحفظ على أموال هؤلاء جميعا، ويكلف إنسان بأمرهم والنظر في أمرهم. فإن اليتيم الذي مات أبوه والابن الذي فقد أباه بالغياب الطويل، وابن المجنون الذي لا يفيق من جنونه، وابن السفيه الذي لا يحسن التصرف ... كل هؤلاء الأبناء يأخذون حكم اليتيم فيقوم الوصي عليهم بالعمل في مالهم، وتدبيره على أحسن وجوه التدبير كما لو كان ماله وأكثر، لأنه لا يأمن الموت، ولا يأمن تغير الأحوال، فربما يصبح ولده بعد قليل مثل هؤلاء الذي يرعاهم الآن.

وإذا كان الوصى أو القيم فقيراً، وقد انشغل بالعمل في مال اليتيم عن تحصيل قوته، فله في هذا المال أجر المثل، ومعنى ذلك أنه لو كان يعمل عند أحد الناس كم يأخذ من الأجر في اليوم أو الشهر مثلا؟ فيكون أجره كذلك.

قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا

---

٢٥ حديث (لا يؤمن) رواه أحمد والبخاري عن ابن شريح، والثاني:.رواه البزار والطبراني في الكبير عن أنس

فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾. [٦النساء].

والعمل في مال هؤلاء إنما يكون بتنميته لهم واستثماره لهم والإنفاق عليهم منه بحكمة واعتدال. لا سرف ولا تقتير وكان بين ذلك قواماً؛ كما لو كان الوالد موجوداً أو سليماً ويقوم بتدبير أمر هؤلاء. حتى يشعر أولئك الضعفاء بالحماية والرعاية والرحمة إلى أن يشبوا ويكبروا ويقدروا على القيام بأمورهم.

وبعد البلوغ يعلموا أن الإسلام أب لمن لا أب له. وأم لمن لا أم له. وراع لمن لا راع له. فيتعهدوه بالحب والولاء والإخلاص كما كان لهم في صغرهم فيحمدون الله ﷻ ويشكرون رسوله ﷺ ويكافئون بالمعروف والإحسان من أقامه الإسلام لهم بدل آباءهم، ولا يتبرمون بالمجتمع الذي أعطاهم كل الحنان والعطف، فيقدمون إليه الخير ويردون إليه الجميل.

فإن من مسح على رأس اليتيم شفقة عليه كان له بكل شعرة مستها يده حسنة. ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ [٢النساء]. غاية الترفع والإبتعاد عن المساس بمال اليتيم. حتى إنه لا يجوز للقيم أن يستبدل شيئا من مال اليتيم إلا إذا كان بأحسن وأجود منه. ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ ﴾. [٢النساء]. يعنى ولا تخلطوا مال اليتيم بمالكم. فيضيع في غمار هذا الخلط ولا يتميز ماله عن مالكم ولا نعرف كم ربح ماله ولا كم أنفق عليه منه. ولا كم بقى له منه. فإن هذا الخلط محرم ولا يجوز أبداً. ولذلك قال الله: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴾ [٢النساء]، يعنى تبديل الجيد بالردئ من مال اليتيم. أو خلط مال اليتيم بمال الوصى: أثم كبير. وجرم فظيع. ووزر جسيم لا يفعله مؤمن أبداً يرجو لقاء الله ويخاف يوم الحساب.

الشعبة الرابعة عشر

حقوق الأزواج على بعضهم

فالمرأة لها حقوق على زوجها وهو: المهر، والنفقة، والسكن، والكسوة، والمتعة الجنسية، وحسن المعاشرة، وكريم المعاملة.

أما حقهن في المهر فقد قال تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ [٤النساء]. يعنى أعطوهن مهورهن حقا لهن خالصا بدون مقابل مادى. لأن المرأة تعطى نفسها وحياتها لزوجها يتمتع بها. والمهر مهما عظم فإنه لا يفي بشئ من ذلك. ومعنى نحلة أيضاً منحة طيبة بها نفوسكم. كما أنهن يعطونكم أجسامهن ونفوسهن عن رضا وسرور.

وأما وجوب النفقة فلقوله جل شأنه: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾ [٧الطلاق]. وهذا غاية الفضل من الله. فقد أمر الأزواج بالنفقة على زوجاتهم كل على حسبه. فالغني ينفق من وسعته وغناه بما يناسب وضعه حسب المعروف بين الناس. وأهل الأرزاق البسيطة ينفقون على قدر ما رزقهم الله. وفي هذا البيان الشريف أمر للزوجات بالرضى والقناعة بحالة أزواجهن من ثراء أو إقلال. وإن من يرضى منهن بما يسره الله ﷻ. فإن الله سيكرمهن ويجعل بعد عسر يسرا.

أما السكن فقد قال الله تعالى: ﴿ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ ﴾ [٦الطلاق]. يعنى أسكنوهن في السكن الذي تسكنون فيه. أو سكناً مثل مسكنكم إن لم يقمن معكم. ومن وجدكم يعنى من طاقتكم ووسعتكم.

أما المتعة الجنسية فهى حق مشترك بين الرجل والمرأة.

قال تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي

ٱلۡمَحِيضِۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [٢٢٢البقرة]. أمر الله الرجال بإتيان النساء. يعنى مباشرة العملية الجنسية معهن فإنه حق المرأة، وأن يكون هذا العمل حسب تعاليم الله وأوامره:

- وذلك بأن يكون هذا الإتيان بعد المباسطة والمؤانسة.
- وأن يكون في قُبُل المرأة.
- وأن يكون بعد طهرها من الحيض أو النفاس.
- وأن لا تكون المرأة صائمة فرضاً أو نذراً أو كفارة.
- وأن لا تكون محرمة بحج أو عمرة.
- وأن تكون قادرة على الوطء فلا تكون مريضة أو صغيرة لا تقدر عليه، وأن لا تكون مكرهة على ذلك بحيث يقهرها وليها على الزواج ممن تكرهه. قال تعالى: ﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾. [٣٣النور].

كل هذه الأمور تقع تحت قوله تعالى بالآية المذكورة أعلاه: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٢٢٢البقرة].

وأما حسن المعاشرة وكريم المعاملة فقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ

أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾. [١٩النساء].

والمعروف هو ما تعارف عليه أهل العقل والحكمة، وأهل الدين والملة، من الصبر والحلم، والرحمة واللين، والإحسان والود والحب. قال ﷺ: **اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ اتَّخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ**[٢٦]

والمعروف كذلك ما عرفه لنا الشارع الحكيم من حسن الخلق معهن، والتواضع لهن، وإرضاءهن وإحسان الظن بهن ومداراة عيوبهن، والتلطف لهن في القول، وعدم تكليفهن بما لا يستطعن، وعدم أخذ شيء من أموالهن إلا برضاءهن وغير ذلك من الآداب المذكورة في كتب الفقه الإسلامى.

وأما حق الرجل على المرأة فهو حبها له، وطاعة أمره واحترامه، وحفظ ماله، ورعاية أولاده. والمحافظة على عرضها وعفتها في غيابه، وحفظ سره والوفاء بعهده، وخفض صوتها وجناحها بين يديه، والرضا في حالة اليسر والصبر في حالة العسر، ومعاونته على شئونه الدنيوية، والتعاون معه في أمر الدين، وأن لا تريه من نفسها شيئا يكرهه. ويشير إلى كل تلك المعانى قول الله ﷻ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [٣٤النساء]. وقانتات يعنى طائعات لأزواجهن برضاء وحب، وقول النبى ﷺ: **مَا فَائِدَةٌ أَفَادَهَا اللَّهُ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ ، إِذَا نَظَرَ**

---

٢٦ متفق عليه من حديث أبي هريرة.

إِلَيْهَا سَرَّتْهُ ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا ، وَإِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ [27]

وحق الرجل على زوجته عظيم جداً لا تقدر الزوجة على القيام به إلا بمعونة من الله وتوفيق منه سبحانه. فقد قال ﷺ: **لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّه ، لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا** [28]

وهكذا نجد الإسلام يضع المبادئ التى تكفل حياة سعيدة للرجل وزوجته في إطار من التراحم والتفاهم، والتعاون المثمر البناء، لدرجة أن كلا منهما لباساً وستراً ووقاية لصاحبه. قال تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾. [١٨٧البقرة].

واللباس هو ما يحفظ الإنسان من الحر والبرد، ويستر عورته عن الناس، ويحفظ عليه كرامته ووقاره، ويزينه ويجمله في نظر الناس، والإنسان العريان يعرض نفسه لغضب الله وعذابه فضلاً عن ما يصيبه من الضر والأذى.

قال ﷺ: **مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ نِصْفَ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي** [29] والمعنى أن الرجل المتزوج قد حفظ نفسه بالزواج، والرجل المسلم يمثل نصف الإسلام، والمرأة تمثل النصف الآخر، فإذا تزوج فقد حفظ نصف الدين وهو نفسه، وعليه أن يتقى الله في النصف الآخر وهو المرأة، فيعاملها بما يرضى الله ورسوله والمؤمنين، وكذلك المرأة المتزوجة قد حفظت نفسها بالزواج وهى نصف الإسلام، فيجب عليها أن تتقى الله في النصف الآخر وهو زوجها، فتعامله وتعاشره بالحسنى وترضي الله ورسوله وترضيه.

الشعبة الخامسة عشر

---

٢٧ الطبراني وابن عساكر عن أبي أمامة.
٢٨ سنن ابن ماجة عن عبدالله بن أوفى.
٢٩ رواه الحاكم والبيهقي عن أنس.

شهادة الحق

وهى أن يقول المؤمن الشئ الذي رآه أو سمعه أو بلغه من غير نقص ولا زيادة، وذلك إذا كان راويا للحادثة بنفسه، أو طلب منه الإدلاء بها أو بشئ منها، ويجب عليه أن يقرر الحقيقة ولو كان ذلك على نفسه أو أقرب المقربين والأقرباء إليه. قال ﷺ: ﴿ قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا ﴾[٣٠] وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [٢٨٣البقرة]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [١٣٥النساء]. والمعنى يأمر الله المؤمنين أن يكونوا قائمين بأداء الشهادة بالعدل والحق لله سبحانه، لا لزيد ولا لعمر، فإن الشهادة حق من حقوق الله يجب أن يؤديها المؤمن له بالحق طائعاً محتسباً، لا يبتغى بها إلا وجه الله ﷻ.

ولفظ ﴿ قَوَّامِينَ ﴾.صيغة مبالغة مفردها قوام، من قوم الشيء إذا عدله وأقامه، وصيغة المبالغة تدل على الدوام والإستمرار بصورة قوية، فهى وصف للمؤمنين متأصل فيهم، ومتمكن منهم وكأن الذين لا يقومون بشهادة الحق لله، قد انفك عنهم وصف الإيمان وقد تحللوا من قيوده ... فكم سفكت شهادة الزور دماءاً بريئة، وكم استباحت أعراض الناس وأموالهم، كم ظلمت، وكم أساءت، وكم أفلتت من يد العدالة مجرماً وجائراً، وكم أضاعت على الناس حقوقهم وكم خربت دياراً عامرة. وما شاع قول الزور في أمة إلا محقها الله وعجل لها العقوبات. فإنه ينبنى على شهادة الزور قلب الحق باطلاً والباطل حقاً.

وإن شهادة الزور لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً، فإن كل حكم يترتب عليها باطل عند الله ورسوله، ولو كان في الظاهر أنه صحيح، لأن الأدلة التي انبنى عليها

---

٣٠ ابن حبان وابن عساكر وأبو نعيم في الحلية عن الحسن ابن سفيان.

الحكم صحيحة في نظر الحاكم فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

« إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِه مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ , فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا , فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ »[٣١]

وقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ [٧٢الفرقان]. وسمى زوراً لأن المؤمن يتزاور عنه. أى يبعد عنه ولا تميل إليه نفسه أو لأنه لا يتجاوز منطقة الزور . وهو مجرى الطعام والشراب . من الذي يقول به. فليس له حقيقة في قلبه ونفسه. فهو شئ مفتعل. وإفك مفترى ليس له حقيقة في الواقع ونفس الأمر. ولكنه إختلاق وإثم كبير. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ [٧٢الفرقان].

الشعبة السادسة عشر

أداء الأمانة إلي أهلها.

والأمانة هى الشئ الذي استودعه عندك غيرك. واستحفظك إياه لترده إليه عند طلبه. والأمانة خلق من أخلاق المؤمنين. وحفظ الأمانة وردها لأصحابها عمل من أعمال المؤمنين. قال الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [٢٨٣البقرة]، وقال رسول الله ﷺ: **« أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ »**[٣٢]، وقد اشتهر رسول الله ﷺ منذ صباه بين العرب بالأمانة، حتى كانوايسمونه

---

٣١ متفق عليه من حديث أم سلمة.

٣٢ رواه الترمذي وأبو داود والدارمي عن أبي هريرة.

بالأمين، وكان ذلك قبل الرسالة والبعثة، وقال ﷺ: □ **لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ** □[٣٣] ... وأن الناس يجدون في الإنسان الأمين واحة ظليلة وسط هذه الحياة المليئة بالمشاكل والفتن فيستريحون إليه، ويطمئنون إليه ويأتمنونه على ديارهم وأموالهم وأعراضهم.

ولقد كان فيمن قبلنا رجل صاحب عمل، أستأجر رجلاً ليعمل عنده، فذهب الأجير ولم يتقاضى أجره، فبحث عنه صاحب العمل فلم يجده ولم يجد له أهلاً يدفع إليهم أجره، فاشترى بهذا الأجر شاة، وأخذت هذه الشاة تتوالد على مر السنين حتى كانت عدداً كبيراً من الأغنام ترعى في مراعى مباحة، وفي زراعة صاحب العمل، فلما كان بعد عشر سنين أو يزيد، حضر هذا الأجير من غيبته وقال لصاحب العمل: أتذكرنى؟ قال نعم قال له: أعطنى أجرى الذي عندك. قال له: نعم خذ هذه الأغنام. فقال له: أتسخر بى. قال: لا والله ولكنها أجرك قد ربيناه لك حتى تأخذه. فأخذه ودعا له بخير وانصرف، وقد قص هذا الحديث سيدنا رسول الله ﷺ ضمن حديث الثلاثة الذين وقعت عليهم الصخرة وهم داخل الغار، أما صاحب العمل فقد اعتبر الأجير أخا له، ومن حق الأخ على أخيه أن يستثمر له ماله، وأن ينميه له بقدر الاستطاعة، حتى يكون قد وفي بعض حقوق الأخوة.

فما بالنا الآن يكون للواحد منا حقاً عند أخيه الشقيق فينكره ويهضمه!! وقد يكون هذا الحق ميراثاً أو غيره، وقد كان الواجب أن يتضاعف هذا المال قدر الإنتفاع به وبقدر مدة هذا الإنتفاع. ولكن شح النفوس قد تغلب، وحب الأثرة والأنانية قد تسلط.

وحق الأجير عند صاحب العمل هو أجره فقط، ولكن صاحب العمل أعطى الأجر وأعطى الفضل والإحسان. وهذا هو السر في استجابة الله لدعاءه عندما سأل

---

٣٣ رواه البخاري وأبو داوود والترمذي والحاكم عن أبي هريرة.

الله أن يزيح عنهم هذه الصخرة التى انهالت من فوق الجبل فسدت عليهم فم الغار، ولا طاقة لهم برفعها حتى أوشكوا على الهلاك.

وكذلك من أراد أن يكون مستجاب الدعوة، أن يكون من أهل الفضل والإحسان .. ولا يقف عند حدِّ الواجب والفرض فقط: قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [٣هود].

وما سُمِّيَ المؤمن مؤمنا إلا لأنه:

- يرعى أمانات الله ورسوله ... وأمانات عباد الله لديه.
- ويؤديها عند طلبها من غير إنتقاص لها ولا تأخير.

الشعبة السابعة عشر

الوفاء بالعهد والوعد

والعهد هو ما عاهدت عليه غيرك وأعطيته ذمة وميثاقاً على صيانته ورعايته والوفاء به. وأكثر ما يكون العهد في المعنويات. كالعهد الذي بينك وبين صديقك على تأييده ونصرته ومساعدته، وكتمان سره وستر عورته، وكالعهد الذي عاهدنا الله ﷻ عليه على أن نعبده ولا نشرك به شيئاً، وأن لا نعبد الشيطان وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس].

ومعنى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ تقرير وتذكير من الله بالعهد الذي أعطيناه من أنفسنا لله ﷻ عندما طلب الله إلينا أن نعاهده على عبادته وترك عبادة الشيطان. وفي ذلك العهد شرف عظيم جداً أن نعاهد الله ﷻ. ونضع أيدينا في يمينه المقدسة

معتصمين به سبحانه، متمسكين بعهده. وهذا العهد من جانب الله تفضل على العبد وتكليف له بما فيه سعادته في الدنيا والآخرة، ومن جانب العبد التزام ووفاء وفرح بما عاهد الله عليه.

وأما العهدالذي بينك وبين الناس، فهو عقد التزام من الجانبين، فأنت عليك جانب، والمعاهد لك عليه جانب آخر، وكلاكما معاهد ومعاهد قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴾ [٣٤الإسراء].

وكذك الوفاء بعقود البيع والشراء، والإجارة والإعارة والرهن والمضاربة، وكل عقود المعاملات التى تكون بين الناس قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [١المائدة].

وأما الوفاء بالوعد فهو أن تلتزم بالوقت الذي جعلته بينك وبين الناس في أى أمر من الأمور، كسداد دين مثلاً أو تجهيز عمل، أو تسليم مهمات، أو حضورك لأى شأن من الشئون، أو غير ذلك من المواقيت والمواعيد التى ضربتها بينك وبين غيرك.

والوفاء بهذين الأمرين يترتب عليهما وجدان السلامة والأمن والراحة بين المواطنين، وما سادت الأمم الكافرة من حولنا إلا بالتزامهم بهذه الآداب، على أنها من مقومات الشخصية الإنسانية ومن ضروريات الحياة عندهم حتى تستقيم لهم الدنيا، وينتظم شملها. ولا يأتونها على أنها ديناً مثلنا، وإنما نحن والحمد لله نقوم بها على أنها عبادة نتعبد بها الله ﷻ، وعلى أنها وسائل وأسباب لإسعاد الحياة في هذه الأرض، فعلى ذلك نأخذ نصيبنا مرتين في الدنيا والآخرة.

وأن إخلاف المواعيد علامة من علامات النفاق فقد قال رسول الله ﷺ: □ **آيَةُ الْمُنَـافِقِ ثَلاثٌ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** □[٣٤]

---

٣٤ متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وإذا حافظ المؤمن على مواعيده، كان باراً بنفسه، وباراً بغيره، وباراً بدينه.

الشعبة الثامنة عشر

الإخلاص

وهو طهارة القلب وصفاءه من الغش والحسد، والحقد والكبر، والرياء والنفاق، والإخلاص هو راحة الضمير من هذه الأمراض، وسلامته من تلكم الآفات، فيعيش المؤمن في صفاء العيش وهناءة الحياة، وإن كان قليل المال والجاه، لأنه يشعر بالرضى والسعادة بما يسَّر الله له من غير أن يتطلع إلى من زاد عليه في مُتَعِ الدنيا وطيباتها وهذا هو الإخلاص بالنسبة للناس.

وأما الإخلاص بالنسبة لله فهو أن يخلص عبادته وطاعته لله ﷻ، من غير أن يشرك مع الله أحداً، ومن غير أن يطلب عليها ثواباً وجزاءاً، لأن العبادة حق لله عليه، فهو يؤديها إطاعة لأمره وقياماً بحقه سبحانه، ومسارعة في مرضاته، وشكراً لجنابه العلى على نعمه التى لا عد لها ولا حد، معتقداً أنه مقصر في حق الله، مع أدائها على هذه الوجه الأكمل، ومؤمنا بأن الله سبحانه يستحق العبادة لذاته، لأنه الإله الأعظم، الخلاق الرزاق، والبارئ المصور.

والإخلاص لله هو إقبال القلب على الله حالتى اليسر والعسر في المنشط والمكره، في الرخاء والشدة، لكمال يقينه أن كل شئ منه سبحانه، وليس لأحد شئ مع الله ﷻ إلا ما أراده الله. قال الله في الحديث القدسى: □ **الإخلاص سر من أسرارى أستودعته قلب من أحب من عبادى فلا يطلع عليه شيطان فيضله ولا ملك فيكتب ثوابه**□[٣٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [٥البينه].

---

٣٥ رواه القزويني.

والعبدالمخلِص . بكسر اللام . هو الذي جاهد ويجاهد في تطهير قلبه وتصفيته لله رب العالمين، والعبد المخلَص . بفتح اللام . هو الذي أخلصه الله إليه واصطنعه لحضرته.

وهذا المقام يكون لأقل القليل من كُمَّل عباد الله المقربين بعد رسل الله وأنبياءه صلوات الله عليهم أجمعين.

اللهم ارزقنا الإخلاص في السر والعلانية يا رب العالمين.

الصدق

وهو مطابقة الخبر للواقع، بحيث يكون الكلام الذي تحدثت به مع غيرك صحيح، لا كذب فيه ولا تدليس.

فالمؤمن إذا قال صدق في قوله، وإذا قال له مؤمن قولاً صَدَّقَ به، قال ﷺ: **عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا** [٣٦]

وكما يكون الصدق في الأقوال، يكون كذلك في الأعمال، وذلك بأن يكون العمل مطابقاً لأحكام الله وشريعته، وبذلك يكون العمل صالحاً، يحوز رضا الله ﷻ ورضى رسوله ﷺ.

وكذلك يكون المؤمن صادقاً في أحواله.

والأحوال هى الشئون التى تعترى المؤمن أثناء عمله أو قوله أو سكونه من:

---

٣٦ متفق عليه من حديث ابن مسعود.

الإنفعالات القلبية، مثل الحب والبغض، والخوف والرجاء، والحزن والفرح، واللذة والألم، والقبض والبسط، والإقبال والإعراض، والحضور والغيبة، والأنس والوحشة، والإطمئنان والحيرة، والبشارة والنفور، والبهجة والحسرة، والرضى والغضب، وغير ذلك من الأحوال التى تتوارد على الخاطر.

والصدق فيها:

إنما يكون بظهور آثارها على وجه المؤمن وأساريره، حتى أن من يراه يقرأ هذه المعانى في ملامحه وتقاسيم وجهه.

وقد قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

الحـــال حجـــة دعـــوى ســـالك فـــان بـــــه تنـــــزل وهـــــاب وحنـــــان

والحال هو برهان السالك المخلص في طريق الله ورسوله:

- المتطهر من حظه وهواه.
- الفانى عن شهواته وأطماعه.
- المتجرد من حسده ونقصه.
- المتبرئ من حوله وحيلته.
- التائب إلى الله من علمه ومن عمله ومن شهوده ووجوده.

وأن المؤمن لا يزال يترقى في مراتب الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وهى درجة عالية في منازل الرجال، لا يكرم بها إلا أهل الصدق ﷺ.

الشعبة العشرون

حسن المعاشرة والمعاملة.

قال الله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [٨٣البقرة].

والمعنى أن يخاطب المؤمن عباد الله بالكلام الطيب الكريم، الذي يدخل عليهم الفرح والسرور، والذي يقتلع من نفوسهم الغيظ والكراهية والحساسية، ويريح أعصابهم ويلطف من أحوالهم.

فالمؤمن هين لين بشوش الوجه، رقيق اللفظ، كريم المعاملة، والكريم لا يستوفي حقه أبداً، وإنما يتركه رغبة في إستدامة الألفة وبقاء الوداد وفي الحكمة: (**عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به**)[٣٧].

قال ﷺ: □ **البِرُّ شَيْءٌ هَيِنٌ، وَجْهٌ طَلِيقٌ، وَلِسَانٌ لَينٌ** □[٣٨]، وقال الإمام أبو العزائم ﷺ: □ **عاشروا الناس معاشرة .. إن متم بكوا عليكم !. وإن عشتم حنوا إليكم!** □.

والواجب على المؤمن أن يقول القول الحسن للناس، وإن قالوا له غير ذلك، وفي هذا يكون الفضل وتكون المجاهدة. لأن الذي يقول لك كلاماً طيباً وترد عليه بمثله، فليس لك في ذلك شرف وفضيلة وإنما الخير والإحسان يتجلى عند الإساءة في القول أو المعاملة، قال ﷺ: □ **إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ** □[٣٩]

فكم من مسئ لك انقلب بعد إحسانك إليه إلى صديق حميم وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا

---

٣٧ هذه الحكمة ورد قريب منها بالأحاديث فقد أخرج البيهقي عن الحسن أن موسى سأل ربه جماعاً من الخير فقال: اصحب الناس بما تحب أن تصحب به . وأخرج عن ابن مسعود من أحب أن ينصف الناس من نفسه فليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه. فيض القدير.

٣٨ رواه ابن عساكر عن ابن عمر.

٣٩ رواه أحمد ومسلم عن شداد ابن أوس.

﴿ٱلَّذِى بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [٣٤فصلت].

قال الشاعر الحكيم:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

رعاية الآباء لأبنائهم

ورعايتهم فطرة في طبيعة الأباء والأمهات، لأنهم منهم، وهى عاطفة الأبوة والأمومة التى جعلها الله فيهم.

ومع ذلك فقد رشد الله هذه الفطرة وأحسن توجيهها في كثير من الوصايا والأحكام القرآنية حتى تؤتى هذه العاطفة أعظم ثمارها وأكرم أثارها فقال جل شأنه:﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾(٢٣١طه).

وهذه الرعاية فرضها الله على الوالدين . أو من يقوم مقامهما . للأبناء في سن الرضاع والطفولة.

وإذا بلغ الأطفال سن السابعة بدأ الآباء في تربيتهم وتعليمهم وتأديبهم، قال رسول الله ﷺ: □ **أَكْرِمُوا أَوْلادَكُمْ , وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ** □[٤٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: □ **علموا أولادكم السباحة والرماية ركوب الخيل**□[٤١]، وقال ﷺ أيضاً: □ **عَلِّمُوا أَوْلادَكُمُ الصَّلاةَ إِذَا بَلَغُوا سَبْعًا , وَاضْرِبُوهُمْ**

٤٠ رواه بن ماجة عن أنس.
٤١ البيهقي في شعب الإيمان عن عمر.

عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ [٤٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٥٩النور].

فإذا دخل الولد والبنت إلى سن الرشد ...

والتكليف بالأوامر والنواهي .....

نجد الحق تبارك وتعالى يعلمهم على لسان سيدنا لقمان عليه السلام:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان].

قال ﷺ: **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** [٤٣]

٤٢ رواه أحمد والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

إتقان العمل

وهو أن يقوم الإنسان بالعمل على أحسن وجه وأكمل صورة والعمل هو ما يؤديه الإنسان لصاحبه ويأخذ عليه منه أجره الذي أتفق معه عليه. وإن كان صاحب العمل في الحقيقة هو الله لأن الله هو مالك كل شئ.

ولو أن العامل رأى أن هذا العمل الذي يؤديه إنما هو لله أولا. وأن الله هو الذي يأجره عليه، ويجازيه على أداءه جزاءا أكبر بكثير من الأجر الذي يتقاضاه من الإنسان، فإن الله يعطيه الصحة والعافية، ويعطيه البركة في المال والأهل والولد، ويعطيه حسن السيرة والأحدوثة بين الناس ويسوق إليه أصحاب الأعمال لإتقانه وصدقه وأمانته، هذا في الدنيا أما أجر الآخرة فهو أكبر من ذلك ولا يعلمه إلا الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾. [٣٠الكهف].

وقال رسول الله ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ] [٤٤]

وقد بلغ المؤمن المتقن لعمله مقاماً يحبه الله فيه ﷻ لأنه يحسن عمله، ويتقن صنعه ويجود أداءه، وإنسان يحبه الله كيف يكون شأنه وحاله؟

إنه يتيه على الزمان!!، ويفخر على الأنام !! ...

وقد أخرج أبو موسى فيما رواه مالك بن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ لما أقبل من غزوة تبوك استقبله سعد الأنصاري، فصافحه النبي ﷺ، ثم قال:

---

٤٣ أخرجه الخمسة إلا النسائى عن ابن عمر.
٤٤ رواه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة.

□ ما هذا الذي أكْتَب يديك؟، قال: يا رسول الله، أضرب بالمَر والمِسْحاة فأنفقه على عيالي، فقبل يَدَه رسول الله، وقال: هذه يدٌ لا تمسها النار } وفى الأثر **□ هذه يدٌ يحبها الله ورسوله□**، و قيل خشى على رسول الله من خشونتها، وفيه جواز تقبيل اليد حتى لا ينكر ذلك أحدٌ، فليس بعد فعل رسول الله ﷺ دليلٌ أقوى من ذلك.

الشعبة الثالثة والعشرون

توفية الكيل والميزان والمقياس

والكيل: هو المعيار الذي وضعه الناس، وتعارفوا عليه في بيع وشراء الأشياء التى تكال. والميزان: هو الآلة المعروفة ولها صنج معتمدة توزن بها الأشياء التى توزن، والمقياس: الأدوات التى يقيس بها الناس الأشياء مثل المتر والقصبة ونحوها.

والتوفية في الكيل: ... ملئه بالصورة المعروفة، فلا يكون فيه تطفيف، والتطفيف في الكيل: ... هو النقص اليسير جدا ... بحيث لا يلحظه إلا أهل الصنعة والخبرة في هذا المجال.

وتوفية الميزان هو هبوط الكفة التى بها السلعة عن الكفة الأخرى هبوطا ملحوظاً بحيث يطمئن المشترى إلى ذلك وتوفية المقياس هو تكملته بحيث يتمه من أوله لآخره، من غير أن يهضم المقيس شيئاً. قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [١٣٥الإسراء]، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۖ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ ﴾. [١٨٥الأعراف].

والمؤمن يعتقد أن الله ما وصاه بهذه الأحكام إلا ليسعد بها في الدنيا والآخرة، فإن التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة. ومعنى صدوق يعنى أنصف الناس من نفسه ووفاهم حقوقهم خوفاً من الله ورعاية لحق عباده.

وإن أى حركة تخالف أحكام البيع والشراء تعتبر غشاً وخيانة. قال ﷺ: □ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا □[٤٥]

التفكّر في مخلوقات اللّه تعالي

والتفكر هو:

إنعام النظر في الشئ، ومحاولة استيضاح حقيقته، وفهم خواصه ومنافعه، ومعرفة سيره وحركته، والوقوف على مدى حاجة الإنسان والكائنات إليه، وكيفية تسخير الله له، وتذليله لخدمة العوالم، والتنبه إلى ارتباطه بغيره من الكائنات بحيث يكون معها نظاماً متناسقاً بديعاً لا تنفك عراه، وبحيث لو نقص شئ منها أو تأخر في سيره، أو أسرع فيه، أو قربت مسافته أو بعدت عن حالته التى جعله الله فيها، لاختل نظام هذا العالم وهلك.

وهذا التفكر عبادة من أجل العبادات، لأنه خروج من سجن الغفلة، ولأنه يقوى معرفة المؤمن بربه ويزيده علماً بقدر وعظمته، وقدرة الله وحكمته، وكذلك يدرك مكانته من الوجود وأن الله خدم له كل تلك المخلوقات ليتفرغ لطاعة الله وعبادته. فقد قال الإمام أبو العزائم ﷺ: {**نظرة فكر بيقين خير من عبادة**

٤٥ رواه الطبرانى عن بن عباس.

سنين}. وقال ﷺ: ﴿ تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا ﴾[٤٦] وقال ﷺ: ﴿ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ ﴾[٤٧]

وقال ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾. [١٨٥الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٠١يونس].

وبعد الفكر يحصل التدبر وهو التعقل والتذكر والإعتبار!

وبعد ذلك يثنى المؤمن على الله بما هو أهله قائلاً: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [١٩١آل عمران].

وإضافة كلمة ربّ إلى ضمير الجماعة:

إشارة إلى القرب الذي أسعد الله به أهل التفكر حتى وقعت أعين سرائرهم على معانى حضرة الربوبية التى خلقت لهم هذا العالم، وسخرته لحياتهم ومصالحهم فحدثوه من مقام القرب، مقدسين له ومسبحين لجلاله عن أن يكون قد خلق شيئاً من هذه الكائنات لحاجة منه إليها فهو الغنى عن خلقه، وجميع خلقه في أمس الحاجة إليه سبحانه أو يكون قد أوجد شيئاً منها باطلاً وعبثا، بل خلق كل شئ بالحق ولحكمة عالية، ومنفعة سامية.

وقوله سبحانه: ﴿ سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾. [١٩١آل عمران].

أى أحفظنا من عذاب نار الجهل والبعد والحرمان من هذا التفكر الذي

---

٤٦ رواه أبو الشيخ عن أبي ذر.
٤٧ رواه صالح ابن أحمد في كتاب التبصرة عن أنس.

أوصلنا إلى معرفتك سبحانك.

الذكر

الذكر هو الخروج من بؤرة النسيان، والإنسان لا يخلو حاله إما أن يكون ذاكراً أو ناسياً، والذكر له أنواع كثيرة نذكر منها ثلاثة أنواع:

الأول: ذكر اللسان:

وهو حركة اللسان بكلمة من الخير، من ذكر أو تسبيح، أو تحميد أو تكبير، أو إستغفارأو صلاة على رسول الله، أو دعاء، أو غير ذلك من أعمال اللسان التى تكون من الدين.

وهذا الذكر ينال المؤمن به من الله أجراً وثواباً، لأن اللسان قد عمل الخير، وعبد الله بهذا الذكر. قال ﷺ: **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ , فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**[٤٨]، فعبادة اللسان هى :

قول الخير، وقراءة القرآن وحديث رسول الله، والعلم النافع وذكر الله ﷻ، وغير ذلك مما تقدم ذكره، فذكر اللسان حسنات وصالحات.

والذكر الثانى: هو ذكر القلب.

وهو مراقبة القلب لعظمة الله وجلاله، واستحضاره لمعانى أسماء الله وصفاته وملاحظته للغيب الأعلى، ورعايته لمعية الله له أين كان وكيف كان، وذكر القلب في هذه الحالة يكون معارج وقربات، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى

٤٨ رواه أحمد عن أبى شريح الكعبى.

سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [١٤الحديد].
وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات].

والنوع الثالث من الذكر: هو ذكر القلب واللسان معاً في وقت واحد:

وذلك بأن يقول اللسان ﴿الله﴾ والقلب يستحضر معنى من معانى هذه الكلمة المقدسة: مثل كريم، تواب، عفو، غفور، رحيم، إلى آخره. وذكر القلب واللسان رقي في معارج الكمالات ورفعة إلى أعلى الدرجات.

والذكر الأصغر هو ذكر اللسان فقط، وهو أقل أحوال السالكين، حتى يخرجوا من سجن الغفلة. والذكر الأوسط هو ذكر القلب، وهو أول منازل الواصلين. والذكر الكبير هو ذكر القلب واللسان معاً، وهو مقام أهل التمكين.

والذكر الأكبر هو أن يذكر الله ﷻ عبده في ملأة الأعلى أو قدسه الأسنى. قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [١٥٢البقرة].

وهو مقام الإنسان الكامل من رسل الله وأنبياءه، وورثتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وذكر القلب لله ﷻ ينسى الذاكر فيه كل شئ غير الله سبحانه وهو الذكر الحقيقى، وهو أن تهجم على القلب حالة من مشاهد معانى المذكور سبحانه، يستغرق فيها القلب، وينسى معها كل شئ، قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

أذكـــر الله إن نســـيت ســـواه قـــل بقلـــب فـــي الـــذكر يـــا الله

وقال ﷺ:

ذكـروا القلـب بالحبيـب عســـاه عنـــد ذكـــراه بـــالتجلى يـــراه

واذكروا بالقلوب فالروح سكرى تتمنـــــى بلهفـــــة أن تـــــراه

والذكر الذي يطمئن به القلب ويستريح به الفؤاد، ويهدأ به الخاطر والبال، وتسكن به النفس، إنما يكون بلجوء القلب إلى القوى المتين والولى الحميد، واستحضار معانى الألوهية واستيلاءها على القلب من كل جانب، ولدى هذه الحالة يطمئن القلب، قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

ذاك ذكـر بـه القلـوب اطمأنـت وترقـت إلـى علـيِّ المقـــام

وهذا هو ذكر أهل المعرفة بالله ﷻ:

عرفوه فذكروه في كل حال بما يناسب هذا الحال، فعند النعمة والرخاء يحمدون الله ويشكرونه، ويثنون عليه بما هو أهله وعند الشدة والعناء يدعونه ويتضرعون إليه، ويتملقون إليه جل شأنه، وعند رؤيتهم لعجائب قدرة الله يسبحونه ويمجدونه جل شأنه. وعند كيد الناس لهم ومكرهم بهم يفوضون إليه الأمر سبحانه، ويسلمون إليه الشأن. وعند استحسانهم لشئ ما، ذكروا مشيئة الله وإرادته لهذا الشئ، وحكمته وقدرته على إيجاده وإبداعه، وعند تألب الناس عليهم، واتفاقهم على إنزال الضر والأذى بهم، تحصنوا بالله ولجأو إليه، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. وعند وسوسة الشيطان لهم تعوذوا بالله منه، وعند وقوع الضر والمصيبة بهم استرجعوا لله، وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. وعند رؤيتهم أهل البلاء سألوا الله لهم العفو والعافية وقالوا: (الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه ، وعند رؤيتهم أهل النعماء سألوا الله له البركة والزيادة وسألوه أن يرزقهم كما رزقهم ، وعند وقوعهم في الذنب استغفروا ربهم.

وهكذا يكون لهم ذكر في كل شأن من شئونهم.قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [٤١الأحزاب]، ولن يكون المؤمن من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكره قائماً وقاعداً، وغادياً ورائحاً، ونائماً ومستيقظاً، ومضطجعاً ومستلقياً

وعلى جنب، وعلى كل حال من الأحوال، فعند الأكل والشرب واللبس، والسفر والعمل، والصعود والهبوط، يذكر الله في كل شأن من ذلك بما يناسبه.

الشعبة السادسة والعشرون

الشكر

وهو بالنسبة للناس:

المكافأة على صنيع المعروف ولو بالدعاء لهم والترضى عنهم إذا لم يستطع الإنسان مكافأتهم.قال ﷺ: **مَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادعُوا لَهُ**[٤٩] قال الله ﷻ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.[١٤لقمان].

فشكر الوالدين هو:

مكافأتهم على ما قدماه للإنسان في مراحل حياته، والولد ليس له فضل في هذه المكافأة، لأنها شكر منه لوالديه على صنيعهما معه. فقد ورد في الحديث القدسي: **لَمْ تَشْكُرْنِي إِذَا لَمْ تَشْكُرْ مَنْ أَجْرَيْتُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْهِ**[٥٠].

وأما شكر الله ﷻ فهو:

صرف كل نعمة أنعم الله بها على الإنسان فيما خلقت له، من غير إفراط ولا تفريط، ومن غير إسراف ولا تقتير، ومن غير إهمال ولا إجحاف فإن في كل نعمة حقاً للمنعم سبحانه على الإنسان ظالماً جاحداً حق الله عليه، ولقد وصف الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنه كان: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.[١٢١النحل]. ومعنى ذلك أنه كان يؤدى حق الله في كل نعمة أنعم بها عليه، ومن هنا كان الشكر عملا من الأعمال، وعبادة من أجل العبادات التى يقوم بها المؤمن لله

٤٩ البيهقى عن أبي هريرة والطبرانى عن الحكيم بن عمير.
٥٠ رواه الطبراني وابن عساكر عن عائشة.

ﷻ. قال الله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [١٣سبأ]، وما أمر الله به المؤمنين قبلنا هو أمر لنا إذا لم يرد في شريعتنا ما ينسخه.

ولا يخفي عليك أيها المؤمن اللبيب كيفية صرف النعم، وإنفاقها فيما خلقت من أجله. فإن السمع مثلاً نعمة من أعظم النعم يجب أن نسمع به الخير والهدى، والعلم والدين والقرآن والحكمة، والمصالح التى تدفع الحركة والعمل في هذه الحياة، ولا نسمع به ما حرمه الله علينا من الكفر والفسوق والعصيان، ومن اللغو واللهو والهزل، والغيبة والنميمة وما إلى ذلك. وبقية الأمثلة لا تخفي عليك.

الشعبة السابعة والعشرون

الصبر

وهو منع النفس من الإندفاع والعجلة، وحبسها على ما يؤلمها ويشق عليها. ولا يكون الإنسان صابراً إلا إذاكان مقيماً على ما يكرهه ويضره، من غير طيش ولا تهور ولا تسرع.

ولذلك قال ﷺ: **إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالصَّبْرِ مَعَ الْيَقِينِ فَافْعَلْ ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَ الصَّبْرِ النَّصْرَ** [51]

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [١٢إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [١٧٧البقرة].

---

٥١ رواه الترمذي عن ان بشر.

والصبر أنواع ثلاثة: صبر على المصائب والمحن، والبلايا التى تنزل بالمؤمن في دار الدنيا، وصبر على أداء فرائض الله وعبادته، وصبر عن محارم الله ومعاصيه. وفي كل الأنواع الثلاثة يجاهد المؤمن نفسه، ويوطنها على التماسك والإلتزام والتجلد والاعتصام، حتى يحظى بنوال ما أعده الله لأمثاله من الأجر الكبير والنعيم المقيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [١٠الزمر]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [١٢٦النحل].

وكلمة ﴿هُوَ﴾. ضمير عائد إلى محذوف مفهوم من السياق، تقديره الصبر. وعليه يكون المعنى ولئن صبرتم فالصبر خير للصابرين، والخير الذي في الصبر لا حد له ولا عد، فهو خير مطلق وعام، ولا يعلم مداه وقدره إلا الله ﷻ، وهذا الخير لم يقيده الله بكونه في الآخرة من غير قيود ولا حدود.

الشعبة الثامنة والعشرون

الحلم

وهو وسعة الصدر على جهل الجاهلين، وسفه السفهاء وعدم التبرم بهم، والضجر منهم، والضيق بهم، حتى يمتص المؤمن سفههم وجهلهم.

قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [١٥٩آل عمران].

وقال رسول الله ﷺ لرجل وفد عليه: **إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَسُولُهُ : الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**[٥٢] والفظ يعنى العنيد، وغليظ القلب يعنى قاسى

٥٢ رواه مسلم والترمذي عن ابن عباس.

القلب ليس فيه رحمة ولا رقة، ولا شفقة ولا عطف. والحلم سيد الأخلاق وما دخل في شئ إلازانه وجمله، وما خلا من شئ إلا شانه وأفسده، وقد وصف الله أهل الحلم وأثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [٦٣الفرقان].

وقال الشيخ الشاطبى رضي الله عنه:

وإن كان خرق فادركه بفضله   من الحلم وليصلحه من جاد مقولا

وقال الحكيم:

يخاطبنى السفيه بكل قبح   وأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلماً   كعود زاده الإحراق طيباً

وقد أكرم الله الأنبياء والمرسلين بالحلم، وجعله شيمة أصيلة من شيمهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾.[٧٥هود].: وذلك حتى يتحملوا جفاء أقوامهم وصلفهم، واستهزائهم بهم .

والحلم صفة كل رجل يتحمل أعباء الدعوة إلى الله عز وجل ولولا ذلك ما رق قلب إلى دين الله، ولا انعطفت نفس نحو المرشدين والعارفين بالله.

الشعبة التاسعة والعشرون

التواضع

وهو خفض الجناح وتوطئة الجناب لعباد الله.

والتواضع في الحقيقة:

غاية الرفعة والشرف لأن الإنسان المؤمن اعتبر نفسه أخاً للإنسان مهما كان وأن مقتضى هذه الأخوة الترفق والتواضع والاحترام. قال ﷺ: □ **مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ**

رَفَعَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ [53]

والتواضع لله هو عبادته والتذلل له، والتمسكن لجنابه العلى فإن الله يحب أن يرى عبده المؤمن على هذه الصورة الكريمة ليظهر المؤمن بصفات العبد الخاضع الخاشع لله ﷻ وهى صفات يحبها الله في المؤمن، ويحبه من أجلها. قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. [٥٤المائدة]. ومعنى ذلك:

أنهم أذلوا أنفسهم لله ورسوله على أيدى المؤمنين بحيث يشهد لهم المؤمنون عند الله ورسوله بهذا التواضع، والمعنى أيضاً أنهم قهروا أنفسهم على التذلل للمؤمنين والتواضع لهم، والرفق بهم.

ومعنى ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾:

أن عزتهم ومنعتهم استعلت على الكافرين، وتمكنت منهم، فلم يقدر الكفار على النيل منهم، ولا التطاول عليهم، لأنهم في عزة وقوة ومنعة، وهذا كله لأن الله ﷻ أحبهم فأحبوه، وتفانوا في نصرته سبحانه فنصرهم وأعزَّهم ورفع شأنهم في الدنيا والآخرة، وقد جاء في الحكم:

{كن كالأرض في التواضع، وكالليل في الستر، وكالشمس في المنفعة، وكالبحر في الكرم}.

قال الشاعر الحكيم:

تواضع تكن كالنجم لاح لمدلج في ظلمة الليل البهيم الأليل

والتواضع أحد مصائد المجد ... والشرف، ... والتكبر مدعاة الذلة ... والهوان ... والتهلكة:

---

٥٣ رواه الحاكم وابن حبان عن أبي سعيد.

فكم من متواضع رفع الله ذكره وأعلى شأنه وجعله حديث الناس، به يفخرون، وبه يقتدون ويهتدون وكم من متكبر راح ضحية تكبره، وضاع في طيات الثرى لا يعرف عنه أحد شيئاً إلا أن يمقته ويحتقره، والأمثلة ملأت صفحات الزمان والمكان، يراها الرائح والغاد، والحاضر والباد، فبئس مثوى المتكبرين.

الزهد

وهو ترك الشئ مع الحاجة إليه والرغبة فيه، طمعاً في نوال الخير الباقى والنعيم الدائم.

والزهد لا يكون إلا عن غنى، لأن الفقير الذي لا يجد شيئاً لا يقال له زاهد، وأى شئ لديه حتى يزهد فيه؟!!

والزهد يكون بالعزوف عن طيبات الحياة الدنيا ومتعها التى أحلها الله، شوقاً إلى ما عند الله من الخيرات واللذات والمسرات في دار الخلود. وأهل هذا المقام يكثرون من الصيام والقيام، زهداً في الطعام والشراب، والراحة والنوم بالليل، وكذلك يلبسون الخشن من الثياب، ويرتفقون البسيط من الأثاث، ويكتفون بالضرورى من كل شئ ولا يتوسعون في المباحات، خشية أن يقال لهم يوم القيامة: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [٢٠الأحقاف].

وكانت هذه الآية الشريفة جواب سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لمن يقول له إئتدم يا أمير المؤمنين، فقد شحب لونك وبرزت عروق وجهك من قلة الإدام، وقد كان أميراً للمؤمنين وعنده الخير والنعم من غير حساب, ولكنه زهد فيها مع حاجته إليها رغبة في رضوان الله الأكبر ونعيم الله الأعظم. قال ﷺ: **ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا ،**

يُحِبُّكَ اللَّهُ ﷻ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، يُحِبُّكَ النَّاسُ [٥٤]

وكان الزهد في الدنيا وسيلة إلى محبة الله للزاهد فيها لأنه آثر رضاء الله على نفسه، فأظمأ نهاره وأسهر ليله وعزفت نفسه عن المتع والطيبات، فنال بذلك رضاء الله ومحبته.

والزهد فيما في أيدى الناس عدم التطلع إليه وعدم الطمع في ما عندهم، حتى إن قدموه إليك فازهد فيه، وحاول أن تتركه بحكمة ورفق، من غير أن تجرح مشاعرهم، حتى يتعلموا منك آداب الزاهدين الذين يقصدون وجه الله والدار الآخرة في كل عمل، من غير إساءة لأحد. وإن عزموا عليك أن تأخذه وأقسموا عليك، ورأيت الرضى والسرور منهم في قبوله فخذه وأعطه لمن يحتاج إليه، لأنك والحمد لله زاهد فيه، ولا حاجة لك إليه. وبذلك تنال محبة الناس، وتحظى بشوقهم إليك وحنينهم إلى رؤيتك.

الشعبة الحادية والثلاثون

الإيثار

وهو أن تعطى الشئ لغيرك وأنت في أمس الحاجة.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

والخصاصة هى الحاجة الشديدة إلى الشئ ومع ذلك فهم يقدمونه للمحتاجين إليه بسرور ورضى.

---

٥٤ ابن ماجه والطبرانى والبيهقى عن سهل بن سعد.

وهذا مقام صحابة رسول الله ﷺ، ومن اقتدى بهم إلى يوم القيامة، فإنهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم عند العطاء، ويشكرون الله ويحمدونه عند البلاء، ويرضون عن الله بمر القضاء ويصبرون عند البأساء والضراء.

□ دَخَلَ قَوْمٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : " مَنِ الْقَوْمُ ؟ " ، فَقَالُوا : مُؤْمِنُونَ ، فَقَالَ :إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكُمْ ؟ " قَالُوا : الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلاءِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " فُقَهَاءُ عُلَمَاءُ ، كَادُوا مِنَ الْفِقْهِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ " ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِذَا كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ ، فَلا تَبْنُوا مَا لا تَسْكُنُونَ ، وَلا تَجْمَعُوا مَا لا تَأْكُلُونَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُونَ □[٥٥].

وقد ورد أن جماعة من المجاهدين أصيبوا في غزوة من الغزوات، فطلبوا الماء وهم في الأنفاس الأخيرة. فلما جاء الساقى للأول قال له: أدرك فلان فإنه أشد منى عطشاً.فقال له الثانى والثالث والرابع إلى أخرهم مثل ما قال الأول فلما عاد إلى الأول ليسقيه وجده قد مات بظمئه، وكذلك الباقون. فبلغ بهم الإيثار لدرجة أنهم يؤثرون غيرهم بالحياة على أنفسم، وذلك مقام في الإيثار لا تتصور النفس مداه، ولا يبلغ الخيال منتهاه.

والإيثـار :

ثمرة من ثمار الإيمان القوى، والحب العميق لله ولرسوله وللمؤمنين.

وكم من الأمثلة العالية التى تتراءى في المحيط الإسلامى وقد حفلت بمعانى الإيثار الفريدة النادرة، التى تملأ الجو عطراً فياحاً وأريجاً ذكياً، وقد تتوجب بهم تراجم الأئمة والصديقين والشهداء والمقربين رضى الله عنهم أجمعين، راجعها في كتب المغازى والسير إن شئت ...

---

٥٥ حلية الأولياء لأبي نعيم.

ولم يبق علينا إلا أن نحيي هذا المجد الكبير في أنفسنا، وهذا الشرف العظيم في حياتنا ليكون لنا نصيب من مكارم الأخلاق السامية، وحظ في أحياء هذه السنن التى درست أو كادت أن تندرس وتنتهى من عالم المسلمين ....

لولا بقية من أهل اليقين .... الذين أحيا الله بهم معالم هذه السنن ... لئلا تبطل حجج الله وبيناته.

إذا كنـــت ذا قلـــب قنـــوع فأنـــت ومالـــك الـــدنيا ســـواء

الشعبة الثانية والثلاثون

الرضى

الرضى هو:

- الفرح والبهجة، والسرور والنشوة بكل ما قدره الله وقضاه على المؤمن، من الأمور التى لا تلاءم النفس، ولا تناسب الطبع والمزاج.
- وإنما يكون الرضا عن الله في حكمه القَدَريّ وفي حكمه الشرعيّ.
- ولا يرضى العبد عن نفسه إذا خالفت حكماً من أحكام الله أو سنة من سنن رسول الله ﷺ.
- والرضى مقام من مقامات أهل محبة الله ﷻ، وذلك لأن الحب يستلزم الرضى عن المحبوب في كل شئ، وأيضاً لأن المحب أيقن أن الله ﷻ ماقدر عليه ذلك البلاء، إلا ليكرمه ويرفع قدره.
- وإذا بلغ العبد مقام الرضى عن الله استيقن أن الله سبحانه قد رضى عنه أولاً.

- والرضى من الله سبحانه على العبد هو غاية السعادة، ونهاية الآمال التى يرجوها العبد من الله ﷻ.

- ورضاء الله على عبده:

إقباله سبحانه عليه بالحب والود، والإيثار والقرب، ومواجهته له بوجهه الكريم، ومعاملته له بما يحبه ويرضاه جل جلاله، وبما يسرُّه ويؤنسه.

الشعبة الثالثة والثلاثون

الحياء

والحياء خير كله، وهو نوعان:

- حياء من الله ﷻ وهو مشاهدة المؤمن معية الله له في كل حال من أحواله، وفي كل شأن من شئونه، فيستحى أن يواجه الله ﷻ بالمخالفة. لأن الله ناظر إليه، ومطلع عليه، وقريب منه، قال ﷺ: ﴿ **اسْتَحْيُوا منَ اللَّه , ﷻ, حقَّ الْحَيَاء " قَال : قُلْنَا : يا رَسُولَ اللَّهِ , إنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ للَّه . قَالَ : " لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكنْ مَنِ اسْتَحْيَى منَ اللَّه , ﷻ, حقَّ الْحَيَاء ، فَلْيَحْفَظ الرَّأْس وَمَا حَوَى ، وَلْيَحْفَظ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى ، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ , ﷻ , حَقَّ الْحَيَاء** ﴾[٥٦]

- والنوع الثانى الحياء من الناس. وهو أن تحترمهم وتحفظ مشاعرهم وتكرمهم، وتعاملهم بما تحب أن يعاملوك به وتواسيهم، ولا تتبع عوراتهم،

٥٦ رواه أحمد والترمذى والحاكم والبيهقى عن ابن مسعود.

وتداريهم ومن لم يستح من الخلق لا يستحي من الحق، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[٥٧]

ومن لا حياء فيه لا خير فيه. وورد عن الحبيب ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ حَلِيمٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّتْرَ»[٥٨]، وكان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها. فالحياء خلق من أخلاق الله ورسوله، والمؤمن متخلق به اقتداءاً بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

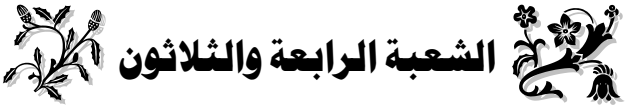

الشعبة الرابعة والثلاثون

الإحسان

والإحسان هو:

- أن يحسن الإنسان إلى نفسه بتقديم الخير لها، حتى تعيش في ظله في الدنيا والآخرةن وأن يحسن الإنسان إلى غيره، وذلك بأن ينفعه ويقدم الخير إليه بقدر ما استطاع وأن يدفع عنه الضر كذلك بقدر ما استطاع.
- وهذا هو معنى الإحسان الذي أمرنا الله به، ﷻ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [٩٠النحل].

والإحسان هو:

ما زاد على الفرض والواجب، من نوافل البر وقربات الخير، وعبادات التطوع، والصدقات والإكرام وغير ذلك. وبأداءها يكون المؤمن قد أحسن إلى نفسه وإلى غيره.

---

٥٧ البخارى وأبو داوود وابن ماجه وأحمد عن ابن مسعود.
٥٨ رواه ابوداود والإمام أحمد عن يعلى بن أمية.

وهناك معنى رفيع للإحسان خاص بحال المؤمن أثناء العبادة، بينه لنا سيدنا رسول الله ﷺ بقوله: **الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِن لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**[٥٩]، وهو مقام يترقى إليه المؤمن في عبادة ربه فيكون محسناً فيها:

والإحسان في هذا المقام يكون بمعنى الإتقان والإجادة، وبلوغ الدرجة العليا في الأداء، وذلك بأن يستحضر العابد أنه يؤدى هذا العمل لله ﷻ، وأن صاحب العمل سبحانه حاضر لا يغيب أبداً، وأنه سبحانه مطلع على حركات النفس وخواطر القلب كما هو مطلع على ظاهر الجسم والشكل، وبذلك يكون مستحضراً لعظمة الله ومقامه في عبادته سبحانه، على قدر استطاعته. وهذا هو المشهد الأول من مشاهد الإحسان.

وأما المشهد الثانى، وهو المقام الأعلى في الإحسان:

فهو أن يعاين العابد بعين سريرته عظمة ربه وجلاله ومقامه بحيث كأنه يراه بعين رأسه، بل أن مشاهدة عين السر أقوى من رؤية عين الرأس لأن عين السر لا تخطئ الرؤية بخلاف عين الرأس. وقد ذكره رسول الله أولا تشويقاً للنفس إلى هذا المشهد الأعلى، وتعجيلاً به إلى قلوب السامعين، فإنهم كانوا ﷺ بلغوا الذروة من هذه المراتب، فكان البيان من رسول الله أنس لأرواحهم، ونعيم لأشباحهم، وقد كانوا في معاينة الغيب الأعلى أين كانوا وكيف كانوا، سر قول الله ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [١١٥البقرة].

وأهل مقام الإحسان:

- قد أكرمهم الله فرفعهم إلى مقام معيته، والقرب منه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٦٩العنكبوت].

---

٥٩ متفق عليه عن عمر رضى الله عنه.

- وجعلهم الله سبحانه أهل المزيد من فضله، ورحمته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [٢٦يونس].

من معاني الإحسان

بقيت هناك نفحة من مراتب الإحسان السنية، رأيت أن لابد من بيانها، وأخذها في الاعتبار، وهذه المرتبة هي:

أن يحسن المؤمن إلى غيره من بني الإنسان كما أحسن الله إليه، وذلك بأن:

- يفعل الخير والبرَّ في غيره بدون أن ينتظر منه مكافأة ولا شكراً عليه.
- وأن يفعل ذلك من غير أن يطلبه منه، بل يؤديه من تلقاء نفسه بفرح وسرور، إمتثالاً لأمر الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [٧٧القصص].
  - فإن الله ﷻ قد أحسن إلى الإنسان إبتداءً من غير أن يستحق شيئاً من هذا الإحسان، ومن غير أن يسأل ربه ﷻ شيئاً منه:
  - فلقد خلق الله الإنسان من العدم، وجعل له السمع والبصر والقلب والرئة والمعدة، والعقل والشمَّ والذوق والحسَّ، واليد والرجل والرأس والفرج، وكل الأجهزة التي تقوم بحاجاته وكمالياته، ثم بعد ذلك وهبه الروح؛ وهي الطاقة المحركة لكل هذه الأجهزة.
  - ومن قبل ذلك كله سخر له الأرض والسماء والرياح والماء، والشمس والقمر والنجوم، والحيوان والنبات والجماد، والملائكة والإنس والجن، ليقوم كل واحد منها بخدمة الإنسان.
  - هذا وقد أحسن الله له بكل ما تقدم ذكره وأكثر منه مما لا يتسع هذا المختصر لذكره، ولا يقدر أحد على حصره وعدِّه، وكان هذا

الإحسان من الله عزَّ شأنه بمحض الجود والفضل، والإنسان لم يطلبه ولم يستأهل شيئاً منه.

وقد أمر الله المؤمن أن يتسامى ويرتفع إلى الدرجات العالية في عمل الخير؛ فيعمله من أجل الله سبحانه، ومن أجل أنه خير وبرٌّ في ذاته، ومن أجل يتخلق بخلق الإحسان الكريم الذي اتصف به الله جلَّ شأنه، وتخلق به رسوله ﷺ والصالحون من عباد الله المقربين، قال الله تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [٧٧القصص]

يا عجباً لهذا الإنسان الذي يترقى في سماء الرفعة والكمال، إلى أن يبلغ مقاماً لا يشار إليه إلا بالبنان، ولا تحتويه عبارات اللسان وإن جلَّت في روعتها وأسلوبها، لأن المقام فوق ذلك بمراحل تكاثرت عن الإحصاء، وتعاظمت عن الاستقصاء، إذ أن مقام الإحسان هو من مقامات الله ﷻ، ومن صفات رسوله صلى الله عليه وسلم.

وإلى هنا يجف القلم وتطوى الصحف لعجزها عن الوفاء بجلال هذا المقام. ولكن أهل الله وخاصته يتذوقون حلاوته، ويشمون عبيره، ويلمحون بريقه، ويشهدون جماله، ويسعدون بالنزول إلى ساحاته الطاهرة، ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [١٠٨الكهف]، فلله درُّهم، ولله إحسانهم، وبالله جهادهم، وهو سبحانه وتعالى وليُّهم وحسيبهم، فنعم المولى ونعم الحسيب.

فكم من إنسان منهم كان يعمل الخيرات بالليل والنهار ولا تعلم شماله ما تنفقه يمينه!! – بمعنى لا يحدث نفسه بما فعله من الخيرات – وذلك فضلاً عن غيره من الناس، وكأنه لم يعمل شيئاً منها!!

وربما تسأله عمن فعل ذلك فيقول: ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ [١٨٧الأعراف] – زيادة في الستر والكتمان، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الدرجة العالية بقوله: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [٢٧١البقرة] أي تخفوا الصدقة حتى لا يدري بها أحد من الناس.

والإحسان الذي يفعله المؤمن مع خلق الله وعباده:

- إنما يعود ثوابه إلى نفسه أولاً وأخيراً.
- وكذلك يبقى أثره وذكره في الناس، فلا يزالون يحمدون له هذا الصنيع، ويمتدحون له هذا الجميل، ويدعون له بقلوبهم قبل ألسنتهم، وإن المحسن يعيش في قلوب الناس وفي مشاعرهم، بما له من أيادي عندهم ومكرمات عليهم، قال الله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [٦٠الرحمن]؛ فإن جزاء المحسن:
  - أن يحسن الله إليه – وإحسان الله لا غاية لمنتهاه – .
  - وأن يحسن الناس إليه؛ بحبه والوفاء له، وتقدير صنائعه ومعروفه، والمحافظة عليه في غيابه واحترامه في حضوره، وذلك معنى قول الله ﷻ: ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ ﴾ [٧الإسراء]، وقديماً قال الشاعر العربي:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإحسان إنسانا

اللهم عاملنا بإحسانك، وأكرمنا بجودك وإكرامك، إذ الفضل منك وإليك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الشعبة الخامسة والثلاثون

الإيقان

وهو قوة التصديق بالخبر، بحيث يقع من النفس موقعاً أقوى من وقوع الشئ

المحسوس . بأحد الحواس الظاهرة . منها، حتى لا يتسرب إلى النفس أدنى ارتياب أو التباس في صحة هذا الخبر وصدقه.

وقد أثنى الله على المؤمنين بالغيب الموقنين به، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾. [البقرة].

واليقين ثلاثة مراتب:

أولها: **علم اليقين**.

وهو أن يعلم الإنسان الخبر من رسول الله ﷺ، أو من القرآن المجيد، أو من العلماء العاملين، فتستيقن به النفس كما ذكرنا في توضيح الإيقان.

والمرتبة الثانية: **عين اليقين**.

وهو معاينة الأشياء التي أيقنت بها النفس وشاهدتها، إما في رؤيا منامية، يكشف الله لك بها هذا الغيب فتراه عيون الروح فإن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعون جزءا من النبوة، أو تشهده عن طريق السياحة الروحانية في يقظتك إن كنت من كمل أولياء الله. وهذا مقام الكشف الذي يكرم الله به أحبابه، ليؤنسهم برؤية هذا الغيب المكنون.قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [التكاثر].

والمرتبة الثالثة: هى **حق اليقين**.

وذلك يكون بكشف الأغطية والحجب المادية والكونية وانبلاج الغيب أمام العبد المتمكن الوارث لرسول الله ﷺ، فتتحد عين سريرته بعين رأسه، فيعيش في رؤية هذه الحقائق والغيوب، وهذا الإنسان قد صار في ذلك المقام كالميت الذي فارق

الدنيا وانكشف عنه الغطاء، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [٢٢ق]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة] ... ولا حرج على فضل الله.

قال رسول الله ﷺ: **إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا فِي الدُّنْيَا خَيْرًا مِنَ الْيَقِينِ وَالْمُعَافَاةِ ، فَسَلُوهُمَا اللَّهَ** ﷻ [٦٠]، وقال ﷺ: **إذا أراد الله بعبد خيراً فتح قفل قلبه ووضع فيه اليقين** [٦١]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۖ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [٣١المدثر].

وزيادة الإيمان في قلوب المؤمنين إنما تكون بقوة اليقين فيه وقد أكد الله هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ ﴾.(٣١المدثر).

الشعبة السادسة والثلاثون

الورع

وهو الكفُّ عن محارم الله بالكلية، والابتعاد عن الشبهات.

ومحارم الله هى الأمور التى ورد الشرع الشريف بتحريمها على المؤمنين والمؤمنات، ولا خلاف في تحريمها بين علماء المسلمين وأئمتهم، وهذا المختصر لا يتسع لذكرها، وهى معلومة لكل مسلم ومسلمة.

---

٦٠ مسند الإمام أحمد عن الحسن.
٦١ رواه أبو الشيخ عن أبى ذر.

قال ﷺ: ﴿ الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ﴾[٦٢]، وقال ﷺ: ﴿ اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ﴾[٦٣]

وأما الشبهات فهى الأمور التى اختلف علماء المسلمين حولها فمنهم من أحلَّها ومنهم من حرَّمها، ولكل منهم حجته ودليله ووجهة نظره في التحليل أو التحريم.

فالأفضل للمؤمن أن يتورع ويبتعد عنها، خشية الوقوع فيما حرمه الله وهو لا يشعر، قال ﷺ: ﴿ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ﴾.

أى طلب البراءة والطهارة من الله لعرضه ودينه، فلا يعلق بهما شئ يحجبه عن رحمة الله ورضوانه، وذلك بأ يكون عرضه طاهراً، ودينه خالصاً لله ﷻ.

ومن وقع في الشبهات لا يلبث أن يقع في الحرام لأن الشبهات كدائرة حول المحرمات، ومن مشى في هذه الدائرة كان قريباً جداً من الحرام يوشك أن ينزلق إليه كما قال ﷺ: ﴿ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ﴾[٦٤].

والحمى هو المكان الذي حماه صاحبه وحفظه من الناس وجعل عليه ما يحميه ويحرسه من الآلات والمعدات والحراس، ومن هنا نعلم أن الله ﷻ أقام حراساً لحدوده ولأحكامه وشريعته، وهم الخلفاء والأمراء، والرؤساء والحكام ومن يعاونهم في ذلك، وما يمكنهم من حمايتها من أدوات ومعدات.

والشبهات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

- أرباح عقود المضاربة التى لم تستوف الشروط.

---

٦٢ متفق عليه من حديث النعمان بن بشير.
٦٣ أحمد والترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٦٤ رواه ابن حبان والطبرانى في الكبير عن النعمان بن بشير.

– وأكلك من زرع جارك بدون أذنه ....

– وأخذك شيئا من مال شقيقك بدون إذنه باعتبار إنكما شركاء فيه بالميراث.

والإبتعاد عن هذه الشبهات ونحوها هو شأن أهل الورع الذين يتورعون عن كل ما أشتبه عليهم أمره، قال ﷺ: **لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ**[٦٥]

التوسُّط في الأمر

والتوسط فضيلة بين رذيلتين هما الإفراط والتفريط، وكلاهما مذمومٌ، ومحرمٌ إذا كان فى الشر ... قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [٦٧الفرقان].

وقواماً يعنى قائماً بين الإسراف والتقتير في نقطة متوسطة جامعاً بين الخيرين في كل منهما، وهو الإعتدال والإتزان، فينفق من غير تضييق ولا تضييع، ومن غير تبذير ولا إمساك قال ﷺ: **لا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ**[٦٦] وفى الأثر: **التوسط في كل شئ حسن؛ وفي العبادة أحسن**[٦٧]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾. [٢٩الإسراء]، والوسط هو المركز الذي تلتقى فيه الأطراف المتباعدة. فينزل إليه المتغالى في الشئ المتقعر فيه، ويصعد إليه المتهاون بالشئ المهمل فيه، قال تعالى مادحاً هذه الأمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا

---

٦٥ رواه الترمذى وابن ماجة والحاكم عن عطية السعدى.
٦٦ رواه الحاكم في تاريخه عن أبي أسامه.
٦٧ {التوسط فى كل شيء حسن} للنخعى كما فى فيض القدير، والزيادة من كلام الحكماء والعلماء ولم تنسب.

﴾. [١٤٣البقرة]،:

- لأن النصارى انحدروا إلى الرهبانية والسلبية فأضروا بالحياة الدنيا وخربوها.
- واليهود انحطوا إلى المادية الجارفة فأهلكوا الحياة الروحانية، ولكن المسلمين أسعدهم الله بالتوسط في الأمرين، فعمروا الدنيا والآخرة، وأعطوا لكل شئ حقه، فكانوا في ميزان الإعتدال والإستقامة والكل يرضى حكمهم وشهادتهم في كل شئ.

المحاسبة

وهى أن يحاسب المؤمن نفسه على أعماله وأقواله وأخلاقه، ويؤاخذها على تقصيره ... فإن :

- وجد خيراً حمد الله ﷻ على نعمة التوفيق له والمعونة عليه.
- وإن وجد غيرذلك تاب وأناب، واستغفر الله واعتذر إليه من سيئاته وذنوبه ورد المظالم إلى أهلها إن أمكنه ذلك وطلب منهم العفو والمسامحة.
- وإن وجد تقصيراً جاهد نفسه في استدراك ما فاته.

ويجب على المؤمن أن يحاسب نفسه يومياً، بحيث يكون متنبها ومستيقظاً لأن أصحاب الأعمال يحسبون آخر النهار نتائج أعمالهم:

- ليعرفوا كم ربحوا وكم خسروا .. وكم أنفقوا. وكم لهم عند الناس.
- وكم بقى في خزائنهم وحوانيتهم.

- وما هو أسلوب العمل في الغد، ليحققوا المكاسب والإنتاج الأفضل.

قال ﷺ: **حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم**[٦٨]، وقال ﷻ: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾. [١٤الإسراء].

- وإذا حاسب الإنسان نفسه لا يخطئ في الحساب، لأن كل إنسان بصير على نفسه، خبير بشئونها، لا يخفي عليه شئ منها.
- ومن أهمل نفسه بدون محاسبة، فقد أسلمها إلى المهالك والمخاطر وتركها ترعى في هذه الدنيا كالأنعام السائمة ولا تجد من يردها، ولا من يمنعها عن التعدى على مزارع الناس وحاصلاتهم....
- قال الإمام البوصيرى:

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِم
فاصْرِفْ هَواها وَحاذِرْ أَنْ تُوَلِّيهُ إنَّ الهَوَى ما تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ
وَراعِها وهْيَ في الأعمالِ سائِمةٌ وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسِم

والمحاسبة تنتج المراقبة .. والمراقبة يكرم المؤمن بعدها بالمشاهدة ... والمشاهدة يتنعم المشاهد بعدها بالمؤانسة ... والمؤانسة يسعد المؤتنس بعدها بالوداد والمواصلة ... ولا يزال يترقى العبد في منازل القرب ومقامات الحب ... إلى ما لا نهاية له من الإسعاد والسرور والبهجة والحبور والله يرزق من يشاء بغير حساب.

الشعبة التاسعة والثلاثون

المراقبة

٦٨ رواه أحمد وابن عساكر وابن أبي الدنيا.

وهى رعاية المؤمن لمقام الله ﷻ، والتحقق بأن الله مهيمن ومسيطر على كل شئ، وأنه يحصى على العبد أنفاسه، وحركاته وسكناته، وسره وعلانيته.

بل يعتقد أن الله جل شأنه يؤاخذ العبد على ما تركه وراءه من أفعال ذميمة وعادات سيئة، أخذها عنه غيره عمل بها. وعند تحقق المؤمن بهذه المعانى، يراقب ربه في كل أمر من أموره، قال الله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾.[٤٦الرحمن]، وقال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.[النازعات]، وخوف المقام هو رعايته ومراقبته ...

وقال ﷺ: **نعم العبد صهيب؛ لو لم يخف الله لم يعصه**[٦٩] يعنى أن صهيباً ﷺ عبد يخاف الله ويراقبه، ولذلك فإنه لا يعصى الله أبداً، فهو نعم العبد، وهذا ثناء من سيدنا رسول الله ﷺ على صهيب الرومى ﷺ .... قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾.[٥٢النور].

الشعبة الأربعون

التقوى

وهى كلمة جامعة، معناها:

أن يجعل الإنسان له وقاية وحصنا من الشرور والمضار والآلام في الدنيا والآخرة، ولذلك ذكرها الله ﷻ في عدة مواقع بحسب الشئ الذي يجب على المؤمن أن يتحفظ ويتوقى منه.

أما الموقع الأول فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ

٦٩ أورده أبو عبيد في الغريب.

﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٦التحريم]، فقد أمرنا الله في هذه الآية الشريفة بأن نتقى النار ونحفظ منها أنفسنا وأهلنا، وذلك يكون:

- بالمداومة على الإعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، وحمل الأهل والأولاد عليه بكل كيفية وحيلة.
- واستمرار الإستقامة على دين الله، ورعاية آدابه وأحكامه، والمجاهدة في سبيل ذلك، بكل ما نملك لنبعد أنفسنا وأهلينا عن النار التى توقد بالناس والحجارة، وهذا الجزاء من الله أذاب قلوب المؤمنين، لأن مادة وقود هذه النار ليس كمادة وقود نار الدنيا، وإنما مادة وقودها الناس والحجارة... يا لفظاعة الهول وشدة العذاب الذي لم يسمع أحد بمثله، ولم يستطع جبار ولا متسلط أن يصنع عذاباً من هذا النوع الأليم!! .... نسأل الله السلامة والعافية من عذاب النار إنه مجيب الدعاء.

والموقع الثانى قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [٢٨١البقرة]. يا له من يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت!! ويا له من يوم يجعل الولدان شيباً من شدة ما فيه من أهوال ومصائب!! وهذا اليوم هو يوم القيامة، ويوم الحساب والجزاء وقد أمرنا الله ﷻ أن نتقى شر هذا اليوم، وأن نتحصن من أهواله ومواقفه الصعبة، التى تذهل الأم الحنون عن صغارها وأطفالها، لأن الأمر أعظم مما يتصوره الإنسان أو يدور بخلده.

وتقوى هذا اليوم إنما تكون:

- باستحضار ما يكون فيه من شئون وأحداث هائلة، وتتمثل النفس ما أخبرنا الله ورسوله به من أهوال هذا اليوم، والاستعداد لهذه الصعاب التى تواجه الإنسان فيه، فإن الله ينادى ويقول كما أخبر ﷺ فى الحديث الشريف: ☐ **يَا عِبَادِي لاَ خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ، فَأَحْضِرُوا**

حُجّتَكُمْ وَيَسرُوا جَوَاباً فَإنّكُمْ مَسْؤُولُونَ مُحَاسَبُونَ، يَا مَلاَئِكَتِي أَقِيمُوا عِبَادِي صُفُوفاً عَلَى أَطْرَافِ أَنَامِلِ أَقْدَامِهِمْ لِلْحِسَابِ [70]، ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٥٤ياسين]، وقد أخبر الله عن صفات عباده المؤمنين بأنهم: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ [٧الإنسان].

الموقع الثالث: تقوى الرب سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [١النساء]، والرب هو الذي يربي الإنسان بالخلق والإيجاد والإمداد والتعليم والإرشاد والإماته، والتسخير والتذليل، وما إلى ذلك، وحيث أن الرب ﷻ هو الذي بيده أمور العبد كلها فوجب عليه أن يتقى هذا الرب:

- وذلك بمعرفة قدره وتعظيم شأنه.
- والمسارعة إلى تنفيذ أمره واجتناب نهيه وخشية أن يمنع الرب خيره وبره وعطاياه عنه، ويعامله بما لا يحب من القهر والإهانة، وتسليط الأعداء عليه وغير ذلك مما لا يطيقه الإنسان.

الموقع الرابع: تقوى الله ﷻ ...وهو المقام الأعلى من مراتب التقوى، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [١٠٢آل عمران] ... وتقوى الله ﷻ هي:

- أن لا تغفل عنه سبحانه، وأن تديم ذكره وشكره، وطاعته وحمده، وتسبيحه وتقديسه وتمجيده وتكبيره، وتعظيمه والثناء عليه بما هو أهله.
- وأن تجعله شغلك الشاغل، فلا يكن بينك وبينه حجاب ولا غياب.

---

٧٠ أخرجه الديلمي عن معاذٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ. جامع المسانيد والمراسيل.

- وأن يكون الله قد ملأ عليك سمعك وبصرك وفكرك وحسك، وقلبك وكل مشاعرك.

وأهل هذا المقام في معية الله:

والله معهم لا يغيبون إذا غاب الناس، ولا يغفلون إذا غفل الناس، ولا ينسون إذا نسى الناس، ولا يحجبون إذا حجب الناس، لأن صورتهم كالناس، وحقيقتهم على صورة الرحمن؛ يعيشون مع الناس بأجسادهم، ومع الله بقلوبهم، سر قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [١٢٨النحل].

وقد بين الأئمة ﷺ تقوى الله، بقولهم:

- أن تذكر الله فلا تنساه.
- وأن تشكره فلا تكفره.
- وأن توحِّده فلا تجحده.
- أن تطيعه فلا تعصاه.

وقال الإمام على كرم الله وجهه:

التقوى على أربعة منازل: **(الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل)**.

وتقوى الله تعالى:

أن تحفظ نفسك من كل ما يشغلك أو يبعدك عنه ﷻ فلا يقع نظره عليك فيجدك مشغولا عنه بغيره، وهذا المشهد هو حقيقة تقوى الله ﷻ.

ولما كان هذا المقام العلى لم يقو عليه إلا أفراد قلائل .. خفف الله عن عباده

المؤمنين هذا الأمر، فقال لهم: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٦التغابن]، وذلك رحمة من الله بعباده، فله الحمد وله المنة وله الشكر وله الثناء الحسن الجميل ... وتقوى الله سبحانه هى غاية السعادة، ومنتهى الآمال قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر].

- وقال الشاعر الحكيم:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد طرا ... وعند الله للأتقى مزيد

الشعبة الحادية والأربعون

النصيحة

وهى أن تقدم التوجيه لأخيك المؤمن في صورة الأب الرحيم أو الأخ الكريم، أو الأبن الحليم، وبغير هذه الصورة لا تجدى النصيحة ولا تفيد، فإن الذي حملك على توجيه النصح لغيرك، إنما هو رحمتك به، وحرصك عليه، وإرادتك الخير له، والقرآن ملئ بصور رائعة من إرشاد الناصحين، وتوجيه الأمناء المخلصين والأنبياء والمرسلين.

قال الله تعالى مخبراً عن سيدنا نوح عليه السلام، وهو ينصح قومه وقد أتهموه بالضلالة والإيغال فيها: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف]، عبارات كريمة تحدد دوره مع قومه، في نقاط ثلاث: أولا: أنه يبلغهم رسالات الله، ثانيا: أنه يسدى النصيحة لهم في أسلوب رقيق، ثالثا: أنه يعلم من الله ﷻ، علما لا يعرفونه؛ وهذه الأمور الثلاثة لا اختيار له في شئ منها، وإنما هى تكليف من الله له

بأدائها إليهم، مهما كان الأمر ومهما كلفه ذلك من مشقة وعناء.

ونجد أيضاً في القرآن الناصحين من غير الأنبياء ونذكر على سبيل المثال مؤمن آل فرعون وهو ينصح قومه بما ورد في القرآن على لسانه: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [٣٩غافر]، إلى قوله تعالى فى كتابه الكريم:﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.[٤٤غافر]، وهذه الآيات المباركات قد ذكرت مواقفه العظيمة مع قومه، ومناصرته لسيدنا موسى عليه السلام، بأسلوب في غاية الحكمة والرشاد.

وأفضل النصيحة ما كان سراً، فإنها أبلغ في النصح وأحفظ للود، وأدعى للقبول من غير أسف ولا اشمئزاز، وقديما قالوا: **(من نصحك سراً فقد أكرمك وزانك، ومن نصحك جهراً فقد أهانك وشانك)**.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: **رحم الله امرؤا أهدى إلى عيوبى**، ومعنى ذلك أن الإنسان الذي يبصر بالعيب، إنما يذكر به في صورة كريمة ومهذبة، بحيث يقبلها من توجه إليه بفرح وسرور، كما يقبل الواحد منا الهدية بسرور وفرح، لأنها قدمت إليه بحب وحنان.

وكان بعض النصحاء يتهم نفسه بالعيب الذي يراه في أخيه ويبدأ يشكو نفسه إلى رفاقه أمام هذا الأخ المعيب، ويطلب منهم معاونته على التخلص من هذا العيب الذي ألم به، ويوضح طرق الخلاص منه، والعلاج الشافي له، ووسائل التغلب عليه فعند ذلك يدرك صاحب العلة ما به من داء فيعالجه ... قال ﷺ: **اسْتَشِيرُوا الْعَاقِلَ تَرْشُدُوا ، وَلا تَعْصُوهُ فَتَنْدَمُوا** [٧١]، وقال: **الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ** [٧٢]

---

٧١ رواه الخطيب عن أبي هريرة.
٧٢ رواه مسلم وأحمد وأبو داوود والنسائي عن تميم الداري.

الشعبة الثانية والأربعون

المداراة

وهى أن تستر زلات إخوانك ومعايبهم، فتكون لهم كالليل في الستر فلا تذكر عنهم إلا كل خير، وما يسرهم إذا سمعوه، فإنك بذلك تستجلب مودتهم وتستديم ألفتهم وترعى أخوتهم، قال ﷺ: **إِنَّكَ إِذَا تَتَبَّعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**[٧٣] ... وإذا بلغك أحد عنهم سوء فقل له كف أذاك عن إخوانك ولا تبلغنى عنهم شرا، قال ﷺ: **لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**[٧٤]

وقد ورد في الحكمة: **{ ما خرج من فيك فهو فيك، وكل إناء بما فيه ينضح}**، وقال الشاعر الحكيم:

ودارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

وإذا أنت حاسبت أخاك على كل شئ، لم تجد بعد ذلك أحداً حولك من الإخوان تحاسبه، وأنت إنما صاحبت إخوانك على أنهم بشر مثلك، لهم محاسنهم ولهم مساوئهم ولن يخلو أحد من المساوئ، إلا رسول الله ﷺ أو الملائكة المقربون، وأنت لست ملكاً ولا رسولاً، وإنما أنت إنسان كبقية الناس، تصيب وتخطئ، وتحسن وتسئ، وإن كان هناك تفاوت في ذلك بين الناس، فمنهم من غلبت حسناته، ومنهم من غلبت سيئاته، ومنهم من تساوت حسناته وسيئاته. وكل إنسان بصير على نفسه والمسلمون والمؤمنون يتفاوتون فى الرتب والمنازل، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ

---

٧٣ قاله لمعاوية. رواه أبو داوود من حديث معاوية.

٧٤ رواه أبو داود وأحمد والترمذي عن ابن مسعود.

سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١٦٥الأنعام].

الشعبة الثالثة والأربعون

حفظ السر

وهو أن تكتم عن الناس ما أئتمنك عليه أخوك من الحديث، قال ﷺ:
 إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ، ثُمَّ الْتَفَتَ ، فَهُوَ أَمَانَةٌ [75]

ومن حفظ سره ملك أمره، فإذا أبحته فلا تلومن إلا نفسك، واعلم أن إفشاء السر خيانة، وتقدر هذه الخيانة بقدر الآثار المترتبة على إفشاءه.

فقد يكون الجزاء القتل، كما إذا أفشى الإنسان سراً من أسرار الدولة للأعداء، وهى الخيانة العظمى. وكذلك إفشاء أسرار الربوبية فإن جزاءه القتل كذلك، كما حصل للحلاج ، فقد ورد أنهم لما سألوا الجنيد عن الحكم بالنسبة للحلاج، فقال لهم: حكمه القتل وكان الجنيد خالاً للحلاج، فلامه أصحابه وقالوا له أنت أعلم الناس بعد الله ورسوله، بحال ابن أختك، فكيف تحكم بقتله؟ قال لهم: لأنه أباح أسرار الربوبية فجزاءه القتل عندنا حداً لا كفراً، لأنه تجاوز حدود الله في هذا المقام فهتك أسرار الحقيقة، وكشف أسرار الربوبية لغير أهلها، ومن فعل ذلك فحكمه الإعدام.

وقد كان الحاكم في زمنه أمر بقتله لأنه كفر وارتد عن الإسلام بقولته المشهورة: (ما في الجبة إلا الله)، وقوله أثناء قتله: (معبودكم تحت قدمى). فإن ظاهر هذه العبارات كفر صريح، فحكموا عليه بالكفر والقتل، ولكن حقيقة هذا الكلام في باطن الحلاج ، فقد كان في مقام الفناء أثناء العبارة الأولى، فلم ير من حوله كونا

---

٧٥ رواه أحمد والترمذي وأبو داود عن جابر.

ولا أينا، ولا مادة ولا روحاً، وكذلك لم يشهد لنفسه وجوداً، بل شهد أنه فناء وعدم، وأن الموجود في الحقيقة هو الله، وأن وجوده ليس وجودا ذاتيا، بل هو وجود بالله الذي قامت به جميع العوالم. وهو مشهد عال، وسر يجب كتمانه، ويحرم إباحته لغير أهله، ولذلك حكم عليه الجنيد ﷺ بالقتل حداً لتجاوزه حدود الله ـ لا كفرا ـ لأنه أباح سر الربوبيه.

ومن هنا يجب على أهل الأحوال والمشاهدات، أن يخفوا حالهم، ويكتموا سرهم ومشاهداتهم عن الناس، حتى لا يبلبلوا أفكارهم ويشيعوا الفتن بين المسلمين، وهذا من الكبائر التى توبق صاحبها في نار جهنم إن كان يقولها وهو في حالة اليقظة والانتباه بين عامة الناس الذين لا يعرفون من الأمر إلا ظاهره، أما الحلاج فقد قالها وهو فان عن نفسه، غائب عن حسه، وعن كل ما حوله من الكائنات.

أما إباحة هذه المشاهد والأحوال لأهل الذوق والتسليم وبيان سرها وحكمتها لهم، حتى يتعلموا ما لم يكونوا يعلمون فلا بأس بذلك حرصاً على إعطاء الحكمة لأهلها بقدر استعدادهم لتلقيها.

وأما العبارة الثانية التى قالها عند قتله وهى قوله: (معبودكم تحت قدمى) فقد جاء أحد إخوانه الذين يدركون سر حديثه، فقال لهم أحفروا مكان قتله ولما حفروا وجدوا كنزاً عظيماً من الذهب، فقال لهم إن الحلاج يعنى هذا الذهب بقوله الذي قاله، ومعنى معبودكم في العبارة المذكورة محبوبكم الذي تحبونه لدرجة العبادة، فإن الحب يقوى في القلب حتى يبلغ درجة يكاد يعبد فيها المحب محبوبه.ولذلك فإن العبادة الحقيقية أسمى درجات الحب والوفاء والإخلاص لله ﷻ، ويقولون أن فلاناً يحب فلانة لدرجة العبادة.قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [٢٠الفجر] ... والحبُّ الجمُّ هو الكثير المتزايد الذي لا يقف عند حد.

الشعبة الرابعة والأربعون

المسارعة إلي الرحمة والمغفرة

كم من طالب شئ لكنه لا يسعى إليه، وكم من متمنى حاجة لكنه ينتظر ليلة القدر كما يقولون! وفي الحكمة:

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وقال ﷺ: **ليْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي ، وَلا بِالتَّحَلِّي ، لَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ ، وَصَدَّقَهُ الْفِعْلُ وإن قوما غرتهم الأمانى وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل** [٧٦]

والمسارعة إلى الشئ القصد إليه بعزيمة قوية، والجرى نحوه للحصول عليه والتقاطه، وذلك لهفة النفس عليه، وشوقها إليه، والرحمة والمغفرة أمل أكبر يسعى المؤمنون لنواله آناء الليل وأطراف النهار بدون توقف أو إبطاء، قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣آل عمران]، .... ومواطن المغفرة ورياض الجنة .... التى يسارع إليها المؤمنون .... هى:

العمل الصالح	والعلم الرافع	والقول النافع
	والرفيق الشافع	
والخلق الكاملّ	والحال الصادق	واليقين الحقّ

وكانت هذه الأمور هى:

المغفرة والجنة .... لأن المغفرة والجنة ....لا تنال إلا بها:

---

٧٦ رواه ابن النجار والديلمى في مسنده وسعيد بن منصور في سننه عن أنس.

- فقد جعلها الله وسائل للحصول على الرحمة والمغفرة والجنة!
- وقد وضع الله الوسائل والأسباب تيسيراً على طالب الخير والسعادة، حتى يرى كل مسلم أن الله ﷻ قد يسر له أسباب الوصول إلى رحمته ومغفرته، ولم يشق في ذلك، فيشكر الله ويحمده على هذه النعم الكبرى.
- ومن ناحية أخرى فإن المؤمن يشهد أن هذه الوسائل والأسباب، فيها فضل الله ورضوانه:
  - فإن الله قد أخفي فضله ورضاه في طاعته، فيحب المؤمن تلك الأعمال، ويقبل عليها بكليته.
  - كما أخفي غضبه وسخطه في معصيته، فيبتعد المؤمن عنها بكليته.

الفرح بفضل اللّه ورحمته

والمؤمن يرى فضل الله عليه، ورحمته به، في كل شئ من نعم الدنيا ومن نعيم الآخرة، فيفرح بفضل الله وبرحمته، قال تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [٥٨يونس]:

- فإن وجودك وحياتك: فضل من الله عليك ورحمته بك.
- وإن عطاء الله وإمداده لك: فضل من الله عليك ورحمة منه إليك.
- وإن هدايتك وتوفيقك وإيمانك وإسلامك: فضل من الله عليك ورحمة منه.
- بل إن زوجتك وولدك ومالك، ووالديك وإخوانك: وأهلك: فضل الله عليك ورحمته بك.

- وإن علمك وعملك وجهادك وسعيك: فضل الله عليك ورحمته بك.
- بل وإن نعيم الآخرة الذي وعدك الله به وهو حق اليقين: فضل الله عليك ورحمته بك.

*وفضل الله:

هو ما يمنحه الله لك، ويكرمك به من غير أن تستأهل شيئا منه.

*وأما رحمته جل شأنه:

فهى عطفه وحنانه وشفقته سبحانه عليك، ولو نظرت إلى كل ما ذكرناه من النعم المادية والمعنوية، لوجدت أنها فضل الله سبحانه عليك ورحمته بك، وأهل رحمة الله في راحة وسرور، وهناء وسعادة كاملة.

*والفرح هو بهجة النفس، ونشوة القلب، ولذة الجسم.

وقد ورد أن فضل الله ورحمته على المؤمنين جميعاً هو رسول الله ﷺ ؛ ولذلك فهم في فرح دائم برسول الله،واستبشار هائل به ﷺ وكيف لا وهو أصل كل الخيرات والعطايا، وميزاب الفضل والرحمة، فلولا رسول الله ﷺ لم يكن مؤمن ولا مسلم على وجه الأرض، لأن الناس قبله كفروا بأنبياءهم وحرَّفوا وبدَّلوا كتبهم حسب شهواتهم، فلم يكن إسلام ولا إيمان في الحقيقة إلا بعد رسول الله ﷺ، فهو فضل الله الأكبر علينا، وهو رحمة الله العامة بنا.

الخوف والرجاء

والخوف انفعال نفسانى ناشئ من توقع النفس وقوع ضرر بها في المستقبل من جراء ذنب أذنبته، أو حدث أحدثته، وهذا الإنفعال يؤدى بالإنسان إلى تصحيح

أخطاءه والرجوع عن سيئاته، خشية حلول النقمة والضر به.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [١٧٥آل عمران]، والمؤمن يخاف من الله، لأن الله إن حاسبه على كل شئ لا يترك ذرة منه إلا أحصاها، وآخذه عليها، لأن الله بصير وعليم، وخبير ومحيط بكل ذرة من الذرات وأقل. قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾. [الزلزلة].

والخوف من الله ناتج عن العلم والمعرفة بالله، لأن المجهول للإنسان لا يتأتى الخوف منه مطلقاً. ولذلك قال تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (٩الزمر):لأنكم مصدقين بقدرتى عليكم وعلمى بكم ورؤيتى لما خفي وما ظهر من أموركم.

والخوف من الله إنما يكون مشمولاً وممزوجاً بالرجاء في الله:

لأن الخوف وحده قد يؤثر في المؤمن فيخرجه عن حد الإعتدال فيه، ويذهب به إلى اليأس والقنوط من رحمة الله وعفوه، وهذه من أيأس الأحوال التى تعترى الإنسان لأنه ظنَّ السوء بالله، وظنَّ أن الله لا يقدر على مسامحته والعفو عنه، وذلك يؤدى بالإنسان إلى الكفر بالله ﷻ، فإن الله قد وعد المؤمنين بأنه يغفر الذنوب جميعاً ما عدا الكفر به والإشراك به ﷻ.

والرجاء في الله سبحانه هو أمل المؤمن وعشمه، وطمعه في مغفرة الله ورحمته، والله سبحانه أهل العفو والرحمة والمغفرة، إذ أنه سبحانه رحيم بعباده ورفيق ولطيف بهم وأنه سبحانه لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه عبادة العابدين، فهو الغنى سبحانه، عن جميع مخلوقاته وعن كل شئ، ولو أنه يؤاخذ الناس بما عملوا لأهلكهم جميعاً، ولكنه يعاملهم بحلمه وإحسانه، وعفوه وإكرامه.

وما على المؤمن إلا أن يجعل من الخوف والرجاء مطية يركبها للوصول إلى نعيم الله وجناته، فإن الرجاء الصرف يهبط بالإنسان إلى مستوى الغرور بالله، والتمادى في الرذيلة وعدم المبالاة والإكتراث، وذلك أمر يذرى بالعبد ويوبقه في نكال الدنيا وعذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [١١٠الكهف]، وقال ﷺ: **مَنْ خَافَ أَدْلَجَ ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّه غَالِيَةٌ ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّه الْجَنَّةُ**[٧٧]، **وقال سيدنا على بن أبى طالب** رضي الله عنه: **لا يَرْجُو عَبْدٌ إِلا رَبَّهُ** عز وجل، **وَلا يَخَافُ إِلا ذَنْبَهُ**.

وقد قال العلماء رحمهم الله:

يجب على المؤمن أن يغلب جانب الخوف على جانب الرجاء ما دام صحيحاً سليماً قوياً فتياً، حتى لا تميل نفسه إلى معصية الله، فإذا ما أقبل على الآخرة، وضعف جسمه ورق عظمه، وكبرت سنه، فلا بأس من تغليب جانب الرجاء على جانب الخوف لأن قوى الشهوة قد ضعفت واضمحلت في نفسه.

الشعبة السابعة والأربعون

الإنتباه واليقظة

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [٧١النساء].

وأخذ الحذر معناه الاحتياط، والتأهب والإستعداد، وإنما يكون ذلك بالتنبه واليقظة المستمرة، لأن المؤمنين لهم أعداء يتربصون بهم، ولا يكفون عنهم، ولا يقعدون عن إيذائهم بحال من الأحوال، وهكذا قدر الله، وأراد الله.قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾ [٢١٧البقرة]، وهذا إعلام من الله

٧٧ الحديث: رواه الترمذى عن أبى هريرة.، والأثر فى المخل إلى السنن الكبرى للبيهقى وغيره.

لنا بما عليه أعداءنا فهم يقاتلون المسلمين بكل أنواع الأسلحة، بالكيد والدس والوقيعة مره وبالحرب الساخنة أخرى، وبالحروب الإقتصادية ثالثة وبالإشاعات وتأليب الأمم علينا رابعة.ولقد صدق الله العظيم في قوله: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ ﴾. وهذه قضية تدل على الإستمرار والدوام، من غير انقطاع لحظة.

وعدو هذا شأنه، فكيف يكون حالنا معه؟

قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [٦٠الأنفال]، وهذا ما فرضه الله علينا بالنسبة لموقفنا من الكفار حتى نحذرهم ونخيفهم في الوقت نفسه، وليس هناك وازع من وقوع الحرب أقوى من الإستعداد للحرب، وإن العدو لا يغير علينا إلا في غفلة منا وعدم التأهب لمواجهته.

وهناك نوع آخر من اليقظة والإنتباه، يتحصن به المؤمن من الشيطان وخداعه ووساوسه، وقد عبر الله عنه بالتقوى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [٢٠١الأعراف]:

والتقوى في هذه الآية هى درجة عالية من الإحساس والشعور لدى المؤمنين بما يدور حولهم من أباطيل الشيطان ومكره، ومن مداخله وحيله. ولذلك عندما يتعرض لهم الشيطان بأدنى شئ من مخالفة الله ورسوله، يفزعوا وينتبهوا، ويرفضوا ما يوسوس به اللعين. وقيل في الحكمة: **من عاش منتبها قلت مصائبه**.

الشعبة الثامنة والأربعون

الإفتقار إلي اللّه

وهو أن يلجأ المؤمن إلى الله ويفزع إليه في كل شئونه وجميع أموره معتقدا أنه عبد ذليل، مضطر إلى الله في كل أحواله، وأن الله غنى حميد بيده الملك والملكوت،

وبيده الخير وهو على كل شئ قدير.

قال الله لسيدنا موسى: ﴿ **يا موسى اسألنى ولو في شسع نعلك وملح بيتك** ﴾ ومعنى ذلك اطلب منى كل شئ، حتى أدنى الأشياء وأقلها في نظرك ونظر الناس، وقال ﷺ: ﴿ **مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ** ﴾[٧٨] قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ** ﴾ [١٥فاطر].

والفقير إلى الله:

هو المحتاج إليه في كل شئ، دائماً وأبداً، لأن الفقير إلى الشئ هو المضطر إليه، وبدونه يهلك، ومن هنا كان الفقير هو الذي لا يمتلك شيئاً، ولا حتى ما يسد به جوعته، ويقضى به ضرورته، ولذلك بدأ الله به في استحقاق الزكاة قبل غير من المعوزين.قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ** ﴾ [٦٠التوبة]. ثم ثنى بذكر بقية الأنواع.

والفقر إلى الله:

شرف عظيم جداً، لأنه تحقق بكمال العبودية لله ﷻ، وبمعرفة مقام الألوهية، والنسب الذي بين الله وبين عبده، فيكون الله لك نعم الرب ونعم الولى، ونعم الوكيل، وتكون أنت له نعم العبد المقبل عليه، المسارع في محابه ومراضيه، المفتقر إليه في كل نفس من أنفاسك.

الشعبة التاسعة والأربعون

المحافظة على الوقت

والوقت هو المدة والزمن الذي تعيشه في هذه الدنيا والمحافظة عليه هى أن تعمل في كل وقت تعيشه عملا صالحا من قول أو فعل، أو حال أو إعتقاد، حتى لا

٧٨ رواه الترمذى من حديث ابن مسعود.

يضيع وقت منك في غير فائدة، ولأن الوقت هو العمر الذي وهبه الله للإنسان ليستثمره ويعمره، ويؤدى فيه الخير لنفسه ولغيره.

وقد جعل الله هذا الزمن شاهداً على الإنسان يوم القيامة بالخير أو الشر، وقد أقسم الله بالعصر، هو الزمن الذي يعيش فيه كل إنسان، وبهذا القسم يلفت الله النظر إلى قيمة الزمن وأنه هو حياة الإنسان وعمره، قال ﷺ: **لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ خِصَالٍ : عَنْ عُمُرِهِ ، فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وعَنْ شَبَابِهِ ، فِيمَ أَبْلاهُ ؟ وَعَنْ مَالِهِ ، مِنْ أَيْنَ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ ، مَاذَا عَمِلَ فِيهِ ؟** [79]

سؤالان عن الزمن، مرة عن العمر كله، ومرة عن مدة الشباب خاصة، وإن الوقت يمر على الإنسان ولا يحسبه الإنسان، بخلاف المال فإنه إذا ضاع منه درهم حزن عليه الإنسان، وهذا لجهل الإنسان بقيمة الزمن وأنه أغلى من الذهب النضار، فإن الذهب إن ذهب فإنه يمكن تعويضه، ولكن الزمن إن ذهب فلا يمكن تعويضه.

وإن عمر الإنسان يفوت وينتهى بمرور الوقت، فكلما مر وقت انقضت مرحلة من مراحل العمر، ونقص العمر بمقدار ما فات منه، وإن المؤمن يحرص على أنفاسه أكثر من حرصه على نفائسه ومدخراته، لأنه يعلم أن الزمن أغلى عنده من كل شئ.

وعلى العاقل أن يجعل لكل وقت عبادة خاصة وعملاً منوطاً به:

فهناك وقت للطاعة والعبادة، والذكر والعلم، والشكر والإستغفار والدعاء، وقراءة القرآن، والصلاة على النبى ﷺ، ووقت لصلة الرحم وعيادة المريض، وزيارة الإخوان، ووقت للسعى على الأرزاق والأكل والشرب، واللبس والنوم وقضاء الوطر، ووقت للتفكير والتدبر في آلاء الله، وخلق الله، ومصنوعات الله ووقت لتذكر الآخرة وشئونها، وتذكر الموت ولقاء الله ﷻ.

---

٧٩ رواه الترمذى عن أبى هريرة.

وهكذا يجعل المؤمن لكل وقت واجباً يؤديه فيه، فإذا شغل كل وقت بواجبه، شهد الوقت له بين يدى الله ﷻ بما شغله به.

عمارة الدنيا

وذلك يكون باستخراج كنوز الأرض، واستنزال خيرات السماء، حتى يعم الرخاء، ويزيد الخير، ويتمكن كل إنسان من الحصول على حاجاته بيسر وسهوله، وإن الذي أضر المسلمين هو عدم فهم دينهم في هذه الناحية، حتى ظن أعداء الإسلام أن الإسلام دين البطالة والنوم والخمول، فإن السعى في الأرض، واستعمار هذه الدنيا، مبدأ من مبادئ الإسلام. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [١٥الملك]، ومناكب الأرض أعاليها وقممها، وفيه إشارة إلى المكابدة والمشقة في طلب الرزق، ويجوز أن تكون المناكب كل مكان في الأرض يتنكبه الإنسان – أي: يقصده – لما فيه من الخيرات والأرزاق والمكاسب، وفيه السعي والجد والنشاط، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [١٠الجمعة] .... والانتشار في الأرض يعني الاتجاه إلى كل فجاجها ونواحيها ومرتفعاتها ومنخفضاتها وسهولها ووعرها، طلباً للحصول على الأرزاق والمكاسب التي خزنها لنا في الأرض، قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [٦١هود]، يعنى طلب منكم عمارته، ودفع عجلة التقدم والرقى والإزدهار.

فما من مؤمن أحيا أرضاً واستصلحها، وأقام فيها المنشآت والمشاريع، والمزارع والمصانع، أو استخرج خيراتها ومعادنها، إلا كان له من الأجر والثواب، بمقدار النفع الذي عاد عليه وعلى أهله ومجتمعه من هذا العمل المجيد، وما انتفع من زرع الزارع إنسان، أو حيوان، أو طير، إلا كان له به حسنة وصدقة، ويعتبر هذا

العمل من الصدقات الجارية على صاحبها، ما دام النفع بها، ولو كان صاحبها يجنى من وراءها مكاييل الذهب والفضة، غاية ما في الأمر أن ينوى المؤمن بهذا العمل نية طيبة، كنفع الناس أو إحياء الأرض، أو إثراء الحياة، أو تحسين حاله والتوسعة على عياله، أو قياما بتنفيذ أمر الله ورسوله في تعمير الدنيا، وهذا أرقى المقاصد، ولن يكون الغرض من هذا العمل الفخر والتطاول، والتعالى على الغير، أو غير ذلك من النوايا الرخيصة، قال ﷺ: ﴿ إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا ﴾[٨٠] أي نخلة صغيرة فصلتها عن أمها لتزرعها.

وهذا يدل على ضرورة العمل لإقامة الحياة على وجه الأرض، ولو قامت الساعة فعلاً، حتى لا يكون الإنسان مقصراً في حق نفسه ولا فى حق غيره ممن له حق عليه، والإسلام يقرر أن من أحيا أرضاً ميتة فهى له، مكافأة له وتشجيعاً لأمثاله على هذا العمل، حتى يكثر الخير، ويتضاعف العطاء، وتتوفر السلع والحاجيات.

الشعبة الحادية والخمسون

الإصلاح بين الناس

قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾ [١الأنفال]:

أى أصلحوا الأمور التى بينكم، والأمور التى بين الناس إن استقامت وصلحت،استقر الناس وآمنوا واستراحوا، لأن النزاع إنما ينشب بين الناس إذا فسدت الأمور والعلاقات التى بينهم واهتزت ثقتهم في بعضهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [١٠الحجرات]، وإن الذي يقوم بالإصلاح بين المتخاصمين، قد أكرم بمقام التقوى، وقد دخل في رحمة الله من أوسع الأبواب.

---

٨٠ رواه أحمد والبخارى في الأدب عن أنس.

ويجب أن نعلم جميعاً، أن الحياة الدنيا تقوم أساساً على تبادل المنافع والمصالح بين الناس، وقد يؤدى ذلك إلى الغبن أو الغش أو المطل، أو الظلم بين المتبادلين، فيقع النزاع بينهما بسبب ذلك، فيجب أن يتدخل المؤمن للتوفيق بينهما، ولإجراء الصلح في هذا النزاع القائم.

قال تعالى: ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾ [١٢٨النساء]، مهما كان فيه من تنازلات، ومهما كان فيه من تغلب أحد الطرفين على الآخر، فإنه خير، لأنه وضع حداً للنزاع الذى لا يعرف أحد مداه، وأراح النفوس والقلوب من نار الحقد والبغضاء، وفتح أبواب النشاط والتفكير في العمل المثمر البناء، أمام كل المتصالحين.

ثم بعد ذلك نحس في الصلح برضاء الله ورسوله، ونزول البركات من السماء، وانفتاحها من الأرض، فقد ورد أن الله لا يقبل من المتنازعين أى عمل حتى يصطلحا، وأما الخير الذي في الآخرة فهو أكبر بكثير من ذلك الذي ذكرناه، وكفي المصلح شرفاً أنه قائم بتنفيذ أمر الله، في زمن عزَّ فيه المصلحون لأن الناس شغلتهم دنياهم ومصالحهم عن القيام بهذه الأحكام الإلهية، التى فرضها الله على المؤمنين، وقد يقول كسول وجهول مثلى (أنا حاعمل للناس دول إيه، دول ناس ما ينفعش معاهم الكلام) ويقف متفرجاً بدل أن يعمل شيئاً يرضى به الله ويكون نواة للتفاهم في هذا النزاع، ويا حبذا لوقام بهذا الواجب الأئمة والعلماء، والحكماء من الناس، حتى يكونوا رسل خير وإصلاح وسلام بين المسلمين، وذلك من أعظم الواجبات عليهم، وأكبر القربات التى يتقربون بها إلى الله ورسوله.

وهناك معنى كريم في قوله تعالى: ﴿ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾ [١الأنفال]: فذات بمعنى صاحبة، وبَيْنُ بمعنى بُعْدٌ وفراق، لأن البين معناه المسافة، وعليه يكون المعنى: "أصلحوا الأمر الذي أبعدكم عن الله ورسوله"، ويكون هذا المعنى خاص بإصلاح الإنسان نفسه وشأنه مع الله ورسوله.

الشعبة الثانية والخمسون

غض البصر وحفظ الفروج

قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [٣٠النور]: والتعبير في الآية الشريفة بغض البصر، يعنى منعه وكفه عن النظر إلى ما حرمه الله، وما يحرك الشهوة والغريزة.

والنظر إلى ما حرمه الله، له عدة أحوال: فقد يكون النظر بشهوة، وهذا هو زنى العين، فإنها تلذذت بهذا النظر، وتمتعت به، وهذه النظرة هى سهم من سهام إبليس لأنه أصاب مقتلاً، فقد أثرت هذه النظرة على قلب المؤمن وزعزعت إيمانه.

وقد يكون النظر عادياً، كما ينظر إلى باقى الأشياء المارة به في الطريق، لكنه يحرم عليه أن يمعن النظر أو يتبع النظرة بالأخرى، وكما أن النظر محرم على الرجال، فهو محرم على النساء أيضاً، لأن الكل مكلف بدين الله.

وحفظ باقى الفروج من سمع ولسان، وشم ويد، ورجل وبطن، وفرج وعقل، واجب على كل مؤمن ومؤمنه، بحيث يكف كل منهما جوارحه عن محارم الله. ويكون حفظ تلك الفروج استجابة لأمر الله ورسوله ﷺ وتنفيذا له.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: □ **ثلاثة لا تمسهم النار يوم القيامة، عين كفت عن محارم الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله** □[٨١]

وقد أثنى الله على المؤمنين بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون].

---

٨١ رواه الطبرانى عن معاوية بن حيدة.

الشعبة الثالثة والخمسون

الإستعفاف

وهو أن يطلب المؤمن ما يعف به نفسه، ويمنعها عن التطلع إلى محارم الله واشتهاءها والميل إليها.

وإنما يكون ذلك بالمجاهدة الشديدة، لأن المؤمن تنازعه شهوته، وتغالبه غرائزه، وهو يجاهد هذه الغرائز مع وجودها في فطرته وجبلته، ولذلك كان الجهاد فيها عظيماً.

والأصل في طلب العفة أن يبادر المؤمن إلى الزواج وذلك هو العفاف الكامل، ولكن إذا كان الزواج غير ميسور فهنا يكون الجهاد في الاستعفاف، قال الله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [٣٣النور] ومعنى ﴿ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾. أنهم لا يجدون الأسباب والوسائل والقدرة التى تمكنهم من النكاح، وعليه يكون المعنى: أن الذين لا يستطيعون النكاح يعفون أنفسهم بمجاهدتها عن الوقوع في الزنى حتى يوسع الله عليهم ويتزوجوا.

وقد علمنا رسول الله ﷺ كيفية الإستعفاف، وهو مجاهدة النفس بعبادة الصوم، فإن الصوم جنة وصيانة للمؤمن من الوقوع في الزنى، فقال ﷺ: **مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**[٨٢] والباءة: النكاح، والوجاء يعنى الوقاية والحرز، وكان الصوم علاجاً لحالة هيجان الشهوة، لأنه عبادة الإمتناع عن الشهوات، ولأنه بكثرة الصوم يقل الدم المتدفق من كثرة الطعام والشراب، فتضعف الشهوة في الإنسان نتيجة لذلك. وقد ورد في الحكم (إن الطعام يقوى شهوة النهم). وهو المنهوم الذي يأكل كثيراً ولا يشبع.

٨٢ البخارى ومسلم و؛حمد من حديث أبن مسعود.

وقال ﷺ: □ **عفوا تعف نساءكم** □[٨٣] ومعنى ذلك أن عفاف الرجال . وهم أملك لإربهم وشهوتهم من النساء، وأقدر على المجاهدة منهن . يجعل النساء تتعفف بالضرورة لأنهن لا يجدن من الرجال إلا العفة والكرامة، فيلتزمن بها بالضرورة، وهذا الحديث يدل على أن الرجل هو القدوة والأسوة وأن المرأة تابعة له ومؤتمة به في مكارم الأخلاق، وفي الدين والدنيا.

الإستئذان

وهو طلب الإذن من أهل بيت ما للدخول عليهم.

وقد أوضحت الآيات الشريفة آداب الاستئذان بما لا يدع مجالاً لأى إنسان أن يزدرى حرمة البيوت، أو ينتقص من كرامتها، وكذلك ألفتت هذه الآيات نظر المؤمنين والمؤمنات إلى مدى عناية الله سبحانه بهذه الآداب، التى فصلها تفصيلاً لا يحتاج معه إلى تفسير أو بيان، وذلك لخطورة الموضوع.

قال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٢٧النور]: ومعنى ﴿ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾. تستأذنوا بأدب ولطف واحترام، وهى أبلغ من كلمة تستأذنوا، لأنها أفادت طلب الإذن، وأفادت معانى أخرى زائدة على طلب الإذن كما بينا، والإستئذان إنما يكون ممن يملك الإذن، فلا يجوز أن يأذن إليك صبى غير مميز بالدخول فتدخل، لأنه لا يدرك شيئاً، فلعل أحد أهل البيت في حالة غير لائقة فتجد ما لا يسرك أو تنظر عورة من بيت أخيك المسلم فتقع في المحرم، فإذا دخلت فابدأهم بالتحية وقل لهم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا

---

٨٣ الطبرانى في الأوسط عن ابن عمر.

تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [٢٨النور].

ولا يجوز لك أن تنظر من ثقب بالباب لترى هل يوجد أحد بالبيت أم لا؟، وإذا طرقت الباب فتنحَّ عنه، وعرِّف نفسك لمن يقول من بالباب؟، فإن أذن لك في الدخول فادخل، وإن قيل لك ارجع فارجع، ولا تتألم من ذلك؛ فإن أمر الله أولى بالإتباع من طلبك، على أن يكون ذلك عن رضى وارتياح، وهذا هو الإيمان الحق، والإسلام الخالص لوجه الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ: **الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلا فَارْجِعْ**[٨٤]، ولا يلحُّ في الاستئذان ولا ينظر أحدكم من خلل الباب: فإن فقئت عينه فلا شئ له، ولا يقف أحدكم أمام الباب وهويستأذن، قال ﷺ: **مَنِ اطَّلَعَ مِنْ سُتْرَةٍ إِلَى قَوْمٍ ، فَفُقِئَتْ عَيْنُهُ ، فَهِيَ هَدَرٌ**[٨٥].

وروي عن سهل بن سعد فقال: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِدْرى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ ، لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ ، إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ[٨٦].

ظن الخير بالمؤمنين والمؤمنات

وذلك بأن يرى المؤمن أن الخير في المؤمنين، لأن الإيمان طهر قلوبهم وزكى نفوسهم، وجمل أخلاقهم وحسن سلوكهم.

قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [١٢النور]. وظن في هذه الآية الشريفة بمعنى رأى وعلم، وليس

---

[٨٤] رواه مسلم والترمذي وابى داود عن سعد بن مالك
[٨٥] المعجم الكبير للطبراني عن أبي أمامة
[٨٦] صحيح البخارى

المراد معناها ترجيح ظين الخير على ظن الشر، بل المراد طرح ظن الشر بالمرة، ورؤية الخير بالمؤمنين والمؤمنات بدليل الآية التى بعدها: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٦النور].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [١٢الحجرات]. وهو ظن الشر بالمؤمنين والبعض الآخر منه خير، وهو ظن الخير بهم.

وقول الله في الحديث القدسى: **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ**[٨٧] فإن الظن في هذا الحديث معناه الاعتقاد واليقين، وأن المؤمن يثق بالله ويعتقد فيه كل خير وبر وإكرام. وقد قال ﷺ: **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**[٨٨]

والظن هو ترجيح أحد الأمرين في النفس بدون مرجح، ويترتب عليه إلقاء الحديث على عواهنه من غير تثبت ولا تأكد، ولذلك كان الظن من أكذب الحديث الذي يتفوه به قائله من غير اكتراث ولا مبالاة.

والذين يقولون إن ظن السوء عصمة، إنما يقصدون إلى ظن السوء بالنفس وليس بالغير، وإنما يجب على الإنسان أن يحذر خطأ الغير وشر الغير فقط، وأن المتهم برئ ما لم تثبت عليه التهمة.

وقد يعنون بهذه العبارة، أن سوء الظن بالأشرار عصمة، وذلك صحيح ولكنه لا يجوز مع المؤمنين الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب.

الشعبة السادسة والخمسون

حب الله ورسوله وأهل بيته

---

[٨٧] رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة.

٨٨ متفق عليه من حديث أبى هريرة.

والحب هو عاطفة في القلب تميل به نحو المحبوب، وتعشقه وتحن إليه، وتتمنى رضاه ورؤيته.

وهل تتأتى هذه الحالة بالنسبة لحب العبد لله ﷻ؟ نعم! ... لأن العبد المؤمن يعرف مدى عناية الله به وعطفه عليه، وإكرامه له، وبره به، ويعرف فضل الله عليه، ورحمته به، فتتولد في قلبه عاطفة حب الله سبحانه، إذ أن النفس جبلت على حب من أحسن إليها، فهى فطرة لا تتخلف إلا عند أهل الجهالة بالله ﷻ الذين لا يعرفون فضل الله عليهم.وقد قال ﷺ: ﴿ أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ ﴾[٨٩]

وحب المؤمن لله:

إنما يكون بالتخلق بأخلاقه سبحانه والتحلى بآدابه جل جلاله، والمسارعة في طاعته، وترطيب اللسان بذكره، والتضرع والتذلل له عز شأنه، وتلك هى علامات المحبة وأدلتها.قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ [١٦٥البقرة]، وذلك لأن المؤمنين يحبونه سبحانه في جميع الحالات، في الرخاء والشدة، في الصحة والمرض، في الأمن والخوف، في النعمة والنقمة، في الحياة والموت، لكن هناك ناساً يعبدون الله على حرف فإن أصابهم خيراً اطمأنوا به وإن أصابهم ضر انقلبوا على وجوههم وكفروا به.

أما حب المؤمن لرسول ﷺ:

فإنما يكون في كمال اتباعه، والتأسى به في كل أمر كان يقوم به ﷺ، والإتصاف بصفاته، والوفاء له، وكثرة ذكره والصلاة والتسليم عليه، ومحبة أصحابه والترضى عنهم.قال ﷺ: ﴿ وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴾[٩٠]

وهذا البيان من رسول الله في غاية التلطف والأدب والذوق الرفيع، لم يقل أحبونى لأنى فعلت كذا وكذا لكم، أو لأن أخلاقى كذا وكذا، أو لأن مكانتى فيكم

٨٩ رواه الترمذى والحاكم والطبرانى عن ابن عباس.
٩٠ رواه الترمذى والحاكم والطبرانى عن ابن عباس.

ومنزلتى منكم كذا وكذا، ولكن ﷺ قال أحبونى لأن الله يحبنى، ولأن حب الله له ﷺ أجل وأعلى، وأعظم وأكبر من كل شئ آخر لأن حب الله له لا يدرك مداه أهل الدنياولا أهل الآخرة ولا أهل السموات ولا أهل الأرض، ولا يعلم قدر هذا الحب إلا الله ورسوله.

وأما حب آل بيته ﷺ:

فإنه يكون بودادهم ومواصلتهم والإهتداء بهديهم والإنتفاع بآثارهم، والترضى عنهم، ومناصحتهم بالرفق واللين إن لزم الأمر، لأنهم ليسو معصومين، قال ﷺ: □ **واللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا** □[91]

وهذا دليل على عدم عصمة أهل البيت، والسيدة فاطمة رضى الله عنها أم أهل البيت جميعاً رضى الله عنهم، وبنت رسول الله ﷺ.قال ﷺ:□ **وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي** □[92]، يعنى أحبوهم لأننى أحبهم.

اللهم ارزقنا حبَّك، وحبَّ من يحبُّك، وحبَّ ما يقربنا إليك.

اللهم إنا نشهدك أننا نحبك ونحب من تحبه، ونحب ما تحبه ونحب من يحبك، ونشهدك اللهم أننا نحب رسولك، ونحب من يحبهم رسولك، وما يحبه رسولك، ومن يحب رسولك، ونسألك اللهم أن تديم علينا هذا الحب يا رب العالمين.

الشعبة السابعة والخمسون

القناعة

وهى الرضا بما قسم الله لك من الرزق والإكتفاء به، والقناعة كنز لا يفنى، وغنى لا يبلى، وعز لا يزول.

---

٩١ رواه عبدالرزاق في الجامع عن عائشة.
٩٢ رواه الترمذى والحاكم والطبرانى عن ابن عباس.

قال ﷺ: ﴿ ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ﴾[٩٣]

وإن الجشع والطمع فيما لا مطمع فيه، ولا أمل فيه حماقة في الرأى، وسخافة في العقل، وشقاء في النفس، لأن الجشع هو التهافت وعدم الشبع، والطمع هو التطلع إلى ما في أيدى الغير والتحايل في أخذه منه، وكلاهما محرم ومذموم، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله، قال الحكيم:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد طراً وعند الله للأتقى مزيد

وإن الإنسان يطلب المال لسد حاجاته وقضاء مآربه، وما زاد على ذلك فهو حساب ووبال. قال سيدنا داود عليه السلام في دعاءه: ﴿ **وأعوذ بك من مال أجمعه يكون نعيماً لغيرى ووبالاً علي** ﴾، وقد قالوا قديما: **إن المال يميل بالإنسان، وإن الذهب يذهب به، وإن الفضة تنفض به**.

والخير الحقيقى من ذلك كله:

هو ما بينه لنا سيدنا رسول الله ﷺ في حديثة الشريف الذي يقول فيه: ﴿ **يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي ، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ** ﴾[٩٤] .... وإن أول شئ يفارق الإنسان عند الموت ماله، وقد كان أحرص ما يكون عليه، وإن آخر من يفارقه أهله وولده ومشيعوه إلى قبره، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس قناعة ورضى بما آتاه الله.

جاءه بعض أصحابه يوما يشكو إليه جوعه، وقد ربط حجراً على بطنه من ألم الجوع، فوجد رسول الله قد ربط حجرين على بطنه من شدة الجوع، وهو ﷺ راض وصابر، ومحتسب ذلك عند الله ﷻ، وقد قال الإمام البوصيرى:

---

٩٣ رواه ابن عدى في الكامل عن ابن مسعود.
٩٤ رواه مسلم من حديث عبد الله بن الشخير.

وشد من سغب أحشاءه وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الأدم
وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

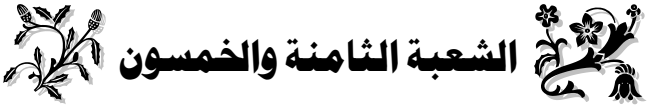

الشعبة الثامنة والخمسون

إكرام الضيف

والضيف هو الذي يزورك في بيتك، أو في عملك، وإكرامه واجب عليك، حتى تدوم الألفة والمحبة بين الناس، ويحس الضيف بأنه قوبل بالحفاوة والاحترام، وإكرم الضيف من مكارم الأخلاق، ومن آداب الإسلام. قال ﷺ: ﴿ **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ** ﴾[٩٥]

وإكرام الضيف أن تعمل له شيئاً زائداً على الطعام الذي أعددته لك ولعيالك، إن أمكن، فإنه من سنن الإسلام.

وكان أصحاب النبى ﷺ لا يوسعون على أولادهم ولا على أنفسهم إلا إذا جاءهم ضيف، حتى يشتاق أهل البيت على الضيف ويحبونه، لأنهم يكرمون بجواره، حتى لو كان الضيف غير مسلم فعليك بره وإكرامه.

وقد كان رسول الله ينزل أضيافه في مسجده الشريف وخاصة الوفود والرسل، ويكرمهم غاية الإكرام، وقد ورد فى الخبر: { أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال: لا سرف في الخير.}[٩٦] وذلك لأن إكرام الضيف بر وخير وإيمان.

وقد كان يأتى الضيف إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن في بيوته ما يقدمه إليه،

---

٩٥ رواه أحمد والخرايطى في مكارم الأخلاق.
٩٦ تفسير السراج المنير الشربيني

فيقول رسول الله لأصحابه: **من يضم أو يضيف هذا ؟**[٩٧] وهذا تشريع لنا فإن كان الواحد منا ليس عنده ما يكرم به ضيفه ... فيستحب أن يستأذن أحد أهله أو إخوانه في إكرامه.

ويجب علينا أن نعين الرجل الذي اشتهر بيننا بإكرام الضيف، حتى لا يقصر به الحال في القيام بهذا الواجب ولو من مال الزكاة، فإن مثل هذا الرجل يدخل في صنفين من الأصناف التى تجب الزكاة لهم، وهما: ﴿ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [٦٠التوبة] ...فإما أن نعطيه على أنه يدفع من ماله أكثر من حاجته ومن نفقة أهله إكراماً للضيف واحتفاءا به، وإما أن نعطيه على أنه ينفقها في سبيل الله، لا يبغى من وراء انفاقها جزاءا ولا شكورا، وباب النفقة في سبيل الله واسع.

الشعبة التاسعة والخمسون

الإفساح في المجالس

وهو أن يسع المؤمن أخاه في مجلسه، ويهيئ له مكاناً بجواره يجلس معه فيه وذلك مدعاة للحب والألفة، والعطف والمودة.

يقال أفسح المكان إذا وسعه.

وقد كانوا يتزاحمون على رسول الله ﷺ .... لشدة حرصهم على القرب منه والاستماع لحديثه، والتمتع برؤيته .... وفي سبيل ذلك كانوا يتضامون ويتلاصقون

---

٩٧ الحديث: { أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ، فبَعث إلى نسائهِ، فقلنَ: ما معَنا إلاّ الماء، فقال: رسولُ اللَّهِ ﷺ مَن يَضُمُّ. أو يَضيف هذا؟ فقال رجُلٌ منَ الأنصار: أنا. فانطلَقَ بهِ إلى امرأتهِ فقال: أكرِمي ضَيفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ. فقالت: ما عندَنا إلاّ قُوتُ صِبياني. فقال: هَيِّئي طعامَكِ، وأصبْحِي سراجَكِ، ونَوِّمي صِبيانَكِ، إذا أَرادوا عَشاءً. فهيَّأت طعامَها، وأصبَحَتْ سراجَها، ونَوَّمَتْ صَبيانَها، ثمَّ قامت كأنَّها تُصلِحُ سراجَها فأطفَأَتْهُ، فجعَلا يُريانِه أنهما يأكلان، فباتا طاوِيَين. فلما أَصبحَ غَدا إلى رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلّم فقال: ضَحِكَ اللَّهُ الليلةَ. أو عَجِبَ. من فعالِكما. فأنزَلَ اللَّهُ ﴿ويُؤثرون على أنفُسهم ولو كان بهم خَصاصة، ومَن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئكَ همُ المُفْلِحون﴾ (الحشر: ٩) } صحيح البخاري، عن أبي هريرة ﷺ.

.... ويتألم الضعفاء منهم وكبار السن من هذا التزاحم .... فنزل القرآن يوصيهم بالفسيح والتوسعة.

وإذا كان هذا في المجالس والأماكن:

فإنه يكون في الصدور والنفوس أحق وأولى، لأن الصدر إذا اتسع تحمل المؤمن أذى الناس ومضايقاتهم، وصبر على جفاءهم وجهلهم حتى يلينوا له ويتأدبوا معه، ويجدوا فيه الملاذ والأسوة والحلم والرحمة.

وما أحوجنا في زماننا هذا إلى هذه المكارم وتلك الصنائع .....

فقد ازدحمت الدنيا بالمشاكل، حتى الطرقات نرى المارة فيها يتشاكون لمجرد المرور فيها، ولو كان هناك بعض صبر وحلم لاتسع الطريق للجميع ومروا بسلام، ولكن ضيق الصدور، وضجر النفوس، ألهبت نار المزاحمة والمشاحنة.

وإن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من جسد الإنسان:

فكما أنه لا فائدة من جسم لا رأس فيه كذلك لا خير في إيمان لا صبر فيه.

الحب في الله والبغض في الله

قال ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ ، الْحَبُّ فِي اللَّهِ ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»[٩٨]

والحب في الله معناه:

أن المؤمن يحب أخاه المؤمن لله ورسوله لا لشئ آخر.

---

٩٨ رواه ابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب عن البراء.

يحبه لأنه مؤمن متمسك بدينه، يعمل الخير ويجتنب الشر، يسارع إلى ما يحبه الله ويرضاه، ويبتعد عن عما يغضب الله ورسوله، يحبه لأنه متخلق بأخلاق المؤمنين الصادقين، من العفو والبر والجود والصبر والحلم ونحوها، يحبه لأنه يرعى عهد الله ورسوله وعهد الناس وذمتهم، يحبه لله ورسوله لا من أجل عطاء يقدمه إليه ولا من أجل منفعة يؤديها له ولا من أجل شهوة ينالها منه، ولا من أجل ضر يدفعه عنه، وإنما يحبه لما فيه من المعانى الكريمة والأخلاق الفاضلة، وإن كان معها شئ من ذلك فلا بأس، فإنها تقوى أواصر المحبة وتديمها لأنها جمعت بين الصلات الروحية والمادية.

وكذلك البغض في الله، فإن المؤمن يبغض أخاه من أجل استهتاره بدينه، وعدم رعايته لحق الله ورسوله وحق الناس واتصافه بالأوصاف الذميمة، وعدم قبوله التوجيه والنصيحة وإيذاءه للناس، فيكرهه من أجل ذلك، ولا يكرهه من أجل أنه منع عنه عطاءه أو منفعته.

وإذا ما وجدت هذه الأمور في المسلمين قويت عرى الإيمان وتمكنت حلقاتها، واستحكمت صلاتها، ولم تقو رياح الفتن والشهوات أن تؤثر عليها، وعرى الإيمان يعنى حلقاته المتشابكة، فكل حلقة تمثل مبدأ من مبادئه وأدباً من آدابه.

قال ﷺ: **لَتُنْتَقَضُ عُرَى الإِسْلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً ، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ ، تَشَبَّثَتْ بِالَّتِي تَلِيهَا ، وَأَوَّلُ نَقْضِهَا الْحُكْمُ ، وَآخِرُهَا الصَّلاةُ**[٩٩]

الشعبة الحادية والستون

التآخي في اللّه

وهو أن يعقد المؤمن بينه وبين أخيه عقد أخوة وصداقة:

٩٩ رواه أحمد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

- من أجل الله ورسوله.
- من أجل التعاون على البر والتقوى.
- من أجل التناصح والتشاور، والتعاطف والتباذل في الخير.
- من أجل التعاون على الذكر والعلم وعمل الطاعات والقربات.
- من أجل أن يدوم أثر هذه الأخوة بعد الدنيا فتكون كذلك في الآخرة، بمعنى أن يتذكر المؤمن أخاه في الآخرة .... فيسأل الله له النجاة والفوز بالجنة، ويتصدق عليه ويزوره، ويبرُّ أهله وأولاده من بعده، ويحفظ عهده وينفذ وصيته.

سر قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم١٨]:

فدعاء المؤمنين لأنفسهم ولإخوانهم يوم القيامة، هو شفاعتهم لبعضهم التى منحها الله لهم، وما ألهمهم الله بالدعاء في هذا اليوم العظيم إلا ليكرمهم ويكرم بهم ويستجيب لهم، لأن ثناءهم على الله عقب الدعاء بقولهم: ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يفيد تحقق الإستجابة منه سبحانه لهم في هذا اليوم العظيم. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [١٠الحجرات]. وقال ﷺ: **لا تَبَاغَضُوا ، وَلا تَحَاسَدُوا ، وَلا تَنَاجَشُوا ، وَلا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**[١٠٠]، وقال ﷺ: **مَا أَحْدَثَ رَجُلٌ أَخًا فِي اللَّهِ ﷻ إِلا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**[١٠١] وقال ﷺ: **استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة**[١٠٢]

١٠٠ رواه مسلم عن أبي هريرة.
١٠١ ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان عن أنس.
١٠٢ رواه ابن النجار في تاريخه عن أنس.

وقال الإمام أبو العزائم ﷺ:

لا أرض بالملك والملكوت في أخ في الله حاشا بل ولا الرضوان
المرء بالإخوان لا بجدوده كثير نعم والذل في النقصان
يا رب أكثر منهمو وأمدهم وأمدنا بالروح والريحان

والإستعانة بالأخ في الله ورسوله في شئون الدنيا والآخرة أمرٌ فرضه الإسلام:

- حيث آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ليتعاونوا في أمور الدنيا والآخرة، وليعين بعضهم على شئونه.
- وقد كان بينهم رضى الله عنهم أعظم أنواع التعاون والتكافل، والتناصح والتآذر، فلم يعرف التاريخ على مدى أجياله أناساً تعاونوا بهذه الصورة، فقد بلغ بهم أنهم اقتسموا أموالهم فيما بينهم، وتنازل الواحد منهم عن أحب زوجاته إليه فطلقها من أجل أن يزوجها لأخيه.

أذكر هذه الحقائق ليعلم كل من ينكر الإستعانة بعباد الله .... أن الإستعانة بهم دين تدين الله به، لأن الله جعل الناس للناس.قال ﷺ: ﴿ **أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ** ﴾[١٠٣].

وإن الذين ينكرون الإستعانة بغير الله يستدلون بقول رسول الله ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما: ﴿ **إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ** ﴾[١٠٤]

وهؤلاء الأخوة أخذوا معنى اللفظ فقط ولم يأخذوا المفهوم الآخر منها:

لأن المفهوم الآخر وهو مفهوم المخالفة – يفيد أن رسول الله عندما أمره بأن يسأل الله وأن يستعين به، لم ينهه عن سؤال عباد الله ولا عن الإستعانة بهم، ولا عن الإستعانة بالأسباب والأشياء التى خلقاه الله للناس، وسخرها لهم ليستعينوا بها على

١٠٣ رواه عبد الله بن أحمد في زوايد الزهد عن الحسن مرسلاً.
١٠٤ رواه أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عباس.

أمور الدنيا والآخرة، وإنما أمره بذلك ليوجهه إلى ضرورة التعلق بالله ﷻ في كل شئ، حتى مع قيام الأسباب وتأثيرها في المسببات فإن الله سبحانه هو الفاعل المختار، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الناس والأسباب تفعل وتؤثر بإرادة الله وقدرته.

ولم يقصد رسول الله ﷺ هذا المعنى الذي فسر به هؤلاء الأخوة الحديث الشريف، فقد فسروه بأن من يسأل أحداً غير الله فقد أشرك، ومن استعان بغير الله فقد أشرك ورسول الله برئ من هذا المعنى، فكيف يستقيم ذلك مع قول الله لرسوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [٦٤الأنفال]. وقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [١٥٣البقرة]، فقد قررت الآية الأولى أن النبى ﷺ يكفيه الله ويكفيه المؤمنون شر الكافرين وكيدهم. وقد قررت الآية الثانية تكليف المؤمنين بالإستعانة بالأسباب، فإن الصبر والصلاة سببان لتذليل المشاكل والصعاب والنصرة على الأعداء. وكذلك قول الله ﷻ لرسوله: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [٦٢الأنفال] ... فإن الله يمتن على رسوله بأنه قد أيده بنصره وأيده بالمؤمنين، فجعل الله تأييده لرسوله بالمؤمنين مساويا لتأييده بنصره، وأن الناس والأسباب تفعل وتؤثر بإرادة الله وقدرته.

وقد استرسلت في هذا الموضوع، لأنه شغل بال الكثيرين من المؤمنين، والحمد لله أرجوا أن يكون هذا البيان قد كشف الله به الحجاب عن القلوب والألباب وفي الموضوع أسرار وأنوار، وعلوم وفهوم، لا يتسع لها هذا المختصر وأكتفي بهذا القدر، وإن اللبيب تكفيه الإشارة فضلا عن العبارة.

عيادة المريض

ومعناها كثرة زيارته، والتساؤل عنه، وقد أمر بها الإسلام.

ذلك لأن المريض:

- إذا أحس اهتمام الناس به، وسؤالهم عنه، كان هذا الإحساس له أكبر الأثر في تعجيل الشفاء له، لأن العامل النفسى من أقوى وسائل العلاج.
- ومن ناحية أخرى، فإن المريض قد ذلت نفسه، وانكسر قلبه من المرض وزيارته جبر لخاطره. وفي الأثر: **{ ما عُبد الله بشئ أفضل من جبر الخاطر }**.

وعيادة المريض سنة مؤكدة من سنن الإسلام المؤكدة.

فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً:

□ مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جِنَازَةً ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ □[١٠٥].

- ومواساة المريض ببعض الأشياء التى تزيد من سروره وتخفف عنه من مرضه أمر لازم، إن كان في استطاعتك ذلك.
- وإلا فيكفيك زيارته والدعاء له.
- مع مراعاة التخفيف في زيارته بقدر الإستطاعة، إلا إن كان وجودك معه يؤنسه ويسره، فلا بأس من إطالة الزيارة.

وفي الحديث الشريف الذي يبين حق المؤمن على أخيه قول النبى ﷺ

---

١٠٥ رواه مسلم في الصحيح عن ابن عمر.

إِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ[١٠٦]، والمريض إن شكا إليك وجعه وألمه:

- فذلك لا شئ فيه:
  - فإنه يشكو إليك ما به لتدعو الله له.
  - أو لتعطيه خبرتك وتجاربك في هذا المرض إن كان لديك.
  - كما يشكو المريض إلى الطبيب علته ليعينه على تشخيص العلة وإعطائه الدواء النافع لها.

وإنما المحرم هو أن يشكو المريض ربه للناس كقوله (ليه ربنا بيعمل فيه كده، أنا عملت إيه عشان أستاهل العذاب ده، أنى شغلى اتعطل، أنى خلصت الفلوس اللى معايا، أنا عيالى تعبت منى).. إلى غير ذلك من العبارات التى لا تصح بالنسبة لله ﷻ، لأن في هذه الشكوى اعتراض على حكم الله، وتبرم بقضائه، وسخط على قدره جلَّ جلاله، والمؤمن ليس كذلك.

وقد قال الله في الحديث القدسي: **إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِبَلاءٍ فَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّاده ، ثُمَّ أَبْرَأْتُهُ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ ، وَإِنْ تَوَفَّيْتُهُ تَوَفَّيْتُهُ إِلَى رَحْمَتِي**[١٠٧]

تشييع الجنازة

وهى حق من حقوق الميت على أخيه الحي:

- تكريماً لأخيه الميت.

---

١٠٦ رواه الحكيم والطبرانى وابن النجار عن أبى أيوب.
١٠٧ رواه الطبرانى والحاكم عن أنس.

- ووفاءاً له بحقه عليه.
- وإطاعة لأمر الله ورسوله في هذه الناحية، فقد قال رسول الله ﷺ: **وَإِنْ مَاتَ اتَّبَعْتَ جِنَازَتَهُ**[١٠٨]، وقال سيدنا داود عليه السلام: **يارب ما جزاء من شيع ميتاً ابتغاء مرضاتك، قال: جزاءه أن تشيعه ملائكتى إلى قبره يوم يموت**[١٠٩]

وإن الذين يشيعون الجنازة:

- يتذكرون الموت.
- ويدعون للميت ويستغفرون له، فهم في عبادة الله إلى أن يواروه التراب ويرجعوا إلى بيوتهم.

وإن الموت من أكبر المواعظ التي تهز مشاعر المؤمن وتجعله يستحضر لقاء الله ﷻ، ويتذكر رحيله من هذه الحياة. فيا لها من ذكرى تهذب النفس، وترقق القلب، وترهف الحس!!.

فكم من صحيح مات من غير علة كم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح غادياً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

الشعبة الرابعة والستون

إمهال المعسر

- وهو إعطاء مدة أخرى لمن لم يستطع أداء الدين عند حلول أجله.
- قال الله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [٢٨٠البقرة].

---

١٠٨ رواه الحكيم والطبراني وابن النجار عن أبي أيوب.
١٠٩ رواه ابن عساكر والديلمي عن ابن مسعود.

- وذلك واجب دينى علاوة على أنه واجب إنسانى وأخلاقى.

ولو نظرنا إلى حقوق الله ﷻ، لوجدنا أن الله قد رخص فيها لغير القادر وأمهله حتى يستطيع الأداء كالحج مثلاً:

فكذلك أمر الله عباده المؤمنين أن يترفقوا في معاملة الناس، فقد قال ﷺ: ﴿ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا ، إِذَا بَاعَ سَمْحًا ، إِذَا اشْتَرَى سَمْحًا ، إِذَا اقْتَضَى ﴾[110]

ثم أراد سبحانه أن يرتفع بالمؤمن إلى الدرجة العالية من الإيمان فقال: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢٨٠البقرة]:

- فإن صاحب الدين إذا رأى إعسار المدين وعدم قدرته على دفع الدين، فإن دينه وخلقه وشفقته على أخيه يتطلب بأن يتصدق عليه بهذاالدين أو ببعضه إن لم يكن كله.
- وفي ذلك الخير كل الخير له في الدنيا والآخرة، وإن ذلك من مكارم الإخلاق وصنائع المعروف الباقية عند الله وعند الناس، وإن أحداً لا يعلم مقدار الخير الذي يهبه الله سبحانه لمن يتصدق بالدين أو بشيء منه على المعسر، ولو علم المؤمن ذلك لتمنى أن يكون له مليء الأرض ذهباً ويتركه لهذا المعسر.

الشعبة الخامسة والستون

إكرام العلماء

قال ﷺ: ﴿ أَكْرِمُوا الْعُلَمَاءَ فَإِنَّهُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، فَمَنْ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ أَكْرَمَ

١١٠ رواه البخارى وابن ماجه عن جابر.

اللّهَ وَرَسُولَهُ [111] وإكرامهم يكون باحترامهم، وتقديم البر إليهم وحبهم، وإعانتهم على أداء رسالتهم، والتأسى بهم والإنتفاع بعلمهم والدعاء لهم والترحم عليهم إذا ماتوا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [٢٨فاطر]: وإذا كان الله سبحانه قد أثنى عليهم في هذه الآية الشريفة، ومدحهم بأنهم يخشونه جلَّ جلاله، فإن ذلك من أجل أن نعرف قدرهم ومكانتهم عند الله سبحانه فنجلهم ونعطيهم حقهم، قال ﷺ: **لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يُجِلّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمَ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ** [112].

وأما الأخبار والآثار فكثيرة، منها: **مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، وَتَوَاضَعَ فِي الْعِلْمِ، وَعَلَّمَهُ عِبَادَ اللَّهِ تَعَالَى يُرِيدُ بِذَلِكَ مَا عِنْدَ اللَّهِ** ﷻ **لَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَفْضَلُ ثَوَابًا وَلا أَعْظَمُ مَنْزِلَةً مِنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ وَلا دَرَجَةٌ رَفِيعَةٌ نَفِيسَةٌ إِلا وَلَهُ فِيهَا أَوْفَرُ نَصِيبٍ وَأَوْفَرُ الْمَنَازِلِ ،أَلا وَإِنَّ الْعِلْمَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ وَمِلاكُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ ، وَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ** [113]، ومنها أيضاً: **خَيْرُ النَّاسِ الْمُعَلِّمُونَ, كُلَّمَا خَلَقَ الذِّكْرُ جَدِّدُوهُ, أَعْطُوهُمْ وَلا تَسْتَأْجِرُوهُمْ فَتُحْرِجُوهُمْ, فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ إِذَا قَالَ لِلصَّبِيِّ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ الصَّبِيُّ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كَتَبَ اللَّهُ بَرَاءَةً لِلصَّبِيِّ , وَبَرَاءَةً لِوَالِدَيْهِ, وَبَرَاءَةً لِمُعَلِّمِهِ مِنَ النَّارِ** [114].

الشعبة السادسة والستون

---

١١١ الخطيب والديلمي عن جابر، وفي تخريج أحاديث الديلمي للحافظ ابن حجر مسندا لأبي الدرداء بلفظ أكرموا العلماء ووقروهم وأحبوا المساكين وجالسوهم وارحموا الأغنياء وعفوا عن أموالهم، كشف الخفاء؟

١١٢ (حم ك) عن عبادة بن الصَّامت ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل.

١١٣ ابن حجر في المطالب العالية عن أبي هريرة، وروي عنه وعن ابن عباس فى تفسير الرازى كحديث شريف ولكن لم يصح له تخريج معتمد فى كتب الحديث.

١١٤ الفوائد المجموعة للشوكاني، وأورده القرطبى والثعلبى، و صاحب التذكرة فى أحوال الموتى نسبة للنبى عن ابن عباس ولكن لم يصح تخريجه.

طلب العلم

قال ﷺ: □ **اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ** □[115].

وقال الله تعالى على لسان سيدنا موسى لسيدنا الخضر عليهما السلام: ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ [66الكهف]

والرشد هو بلوغ الإنسان مقام الكمال. وعلم الرشد هو كشف حقائق الغيب المصون، كما حصل من الخضر عليه السلام لسيدنا موسى، وهذا العلم لا ينال إلا بصحبة المرشد الكامل الوارث لرسول الله ﷺ، ومن هنا وجب على طالب هذا العلم مصاحبة الرجال بعد معرفتهم بالحق، وصحبة الرجل ساعة خيرٌ من ألف سنة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [47الحج].

وقال ﷺ فى الحديث الشريف: □ **مَنْ غَدا إِلى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إلا لِيَتَعَلَّمَ خَيْراً أَوْ يُعَلِّمَهُ، كانَ لَهُ أجرُ مُعْتَمِرٍ تامِّ الْعُمْرَةِ، فَمَنْ راحَ إلى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إلا لِيَتَعَلَّمَ خَيْراً أَوْ يُعَلِّمَهُ؛ فَلَهُ أَجْرُ حاجٍ تامِّ الْحَجَّةِ** □[116].

وفي الحكمة: "**اطلب العلم من المهد إلى اللحد**"، وطلب العلم إنما يكون للعمل به، ولتعليمه للناس، واستجابة لأمر الله ورسوله، وكذلك يكون لتزكية النفوس وتطهير القلوب، لا للمفاخرة والمباهاة، ولا للمجادلة ولا للسمعة، ولا لجمع المال ولا لغير ذلك، ويجب أن يكون طلب العلم لله ورسوله حتى ينتفع الطالب به وينفع به غيره، قال رسول الله ﷺ: □ **مَنْ تَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ لِيُعَلِّمَهُ النَّاسَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ سَبْعِينَ صِدِّيقًا** □[117].

الشعبة السابعة والستون

115 مسند البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
116 المستدرك على الصحيحين عن أبي أمامة رضي الله عنه.
117 رواه الديلمي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

قراءة القرآن

- وهو أن يقرأه الإنسان عبادة لله، متفكراً في معانيه على قدر فهمه، حتى ولو استأجره الناس ليقرأه لهم فإنه يقصط بذلك نفعهم به ونفع نفسه.
- وأن تكون القراءة بأحكام التجويد إن أمكن، وإلا قرأه بقدر ما استطاع إذا كان يتعلم القرآن، ويحاول تجويده حتى لا يكون آثماً.

ولقد فرض الله علينا قراءة القرآن لنتدبره، ونتذكر ما فيه ونعتبر به.فقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[١٧القمر]، وقال: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾[٢٠المزمل]، وقال ﷺ: □ إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُحَدثَ رَبَّهُ فَلْيَقْرَإِ الْقُرْآن □[١١٨]، وقال ﷻ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [١٠٦الإسراء].

- وعلى المؤمن أن يجعل له حصة منه يومياً يقرأها بدون انقطاع، حتى لا يكون هاجراً للقرآن.
- ومن لم يستطع القراءة عليه أن يجعل له وقتاً يستمع فيه إلى القرآن فإن استماعه عبادة مثل قراءته.قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٢٠٤الأعراف]، والقارئ له بكل حرف حسنة، والسامع له بكل حرف يسمعه حسنة كذلك.
- وأن القرآن يشفع لمن يتلوه يوم القيامة كما يشفع لمن يسمعه، ويشفع كذلك لمن يعلمه أو يفسره، أو يبين أحكامه وآدابه، ولمن يعمل به وفضل الله واسع.
- نسأل الله التوفيق للعمل بآداب القرآن وأحكامه.

١١٨ (خط فر) جامع المسانيد والمراسيل عن أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ

حفظ شيء من كلام النبوة

قال ﷺ: ﴿ نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ ﴾[١١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [١٧الحشر]، وآتى هنا معناها أعطى، وعليه يكون المعنى:

وما أعطاكم الرسول من علم وأحكام، وحكمة وبيان فخذوه، يعنى اقبلوه واحفظوه، واعملوا به، فإنه من عند الله ﷻ.قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم].

وقد نص الحديث الذي ذكرناه على أنه ينبغى للمؤمن أن يسمع حديث رسول الله، ويحفظه، ويبلغه كما سمعه حتى نحرص جميعاً على تراث الإسلام الخالد، فإن أصل الدين هو القرآن وحديث رسول الله ﷺ.

وإن من علامة حب المؤمن لرسول الله:

- أن يتلمس أخباره.
- وأن يهتم بحديثه.
- وأن يحفظ منه ما استطاع.
- وأن يوصله إلى غيره بكل ما يمكن، فإنه بذلك يكون ناشراً للدين والخير والفضيلة، ومبلغاً عن رسول الله ﷺ.

الشعبة التاسعة والستون

١١٩ رواه ابن عساكر عن زيد بن خالد الجهنى.

قيام الليل

قال تعالى يصف المؤمنين ويثنى عليهم في كتابه العزيز: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [١٦السجدة].

والتجافي يعنى التباعد، والمضاجع يعنى الفرش والأسرة التى ينامون عليها، ويضطجعون فوقها. والمعنى أن جنوبهم رضى الله عنهم، لا تستقر في راحتها ونومها، بل هى في حالة قلق ومجافاة للمضاجع.

والتجافي عن المضاجع: هو الابتعاد عنها مع حب النفس لها لملائمتها لطبيعتها ... فهم يجاهدون أنفسهم في الابتعاد عنها لأنها تشغلهم وتنيمهم عن محبوبهم الذي يحنون إليه في الليل، حنين من فقدت وحيدها، بل أشد وأعظم وإنما نضرب الأمثال لتقريب المعانى إلى العقول.

وقال الله تعالى يصف المؤمنين أيضاً: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات] والهجوع هو النوم الخفيف، وكانوا ﷺ يهجعون وقتاً قليلاً من الليل لأنهم يشتاقون إلى التملق والمناجاة والدعاء في أوقات الصفاء.

وقيام الليل إما بالصلاة أو بقراءة القرآن أو بتعلم العلم، أو بالذكر والاستغفار والصلاة على النبى أو بأى لون من ألون العبادات والقربات، وسمى قياماً لأن أصحابه في حالة يقظة في طاعة الله والناس نيام من حولهم.

وقيام الليل هو الصلاة بالليل بعد العشاء وقبل النوم، بخلاف التهجد فإنه الصلاة بالليل بعد النوم، وكلاهما فرض في حق رسول الله ﷺ وسنة في حق المؤمنين، لقول الله تعالى: ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [٢المزمل]، وقوله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [٧٩الإسراء]، أي: منحة لك.

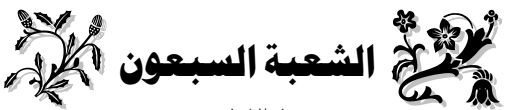

العفو عند المقدرة

وذلك إنما يكون عند تمكنك من عدوك وقدرتك على الإنتقام منه، أو قدرتك على مجازاة من أساء إليك، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٣٤آل عمران].

وكظم الغيظ حبسه في النفس وعدم الإستجابة له، والغيظ هو الألم الشديد، والضجر الذي يصيب الإنسان من إساءة عدوه، وكظم الغيظ من أخص صفات المتقين .... والعفو عن الناس يعنى مسامحتهم وعدم مؤاخذتهم ومعاقبتهم على إساءتهم، ولن يكون الإنسان من أهل العفوا إلا إذا كان يستطيع المجازاة والمحاسبة، أما إذا كان ضعيفاً ولن يستطيع الانتصار لنفسه فعليه أن يصبر وأن يحتسب، ويشكو إلى الله ﷻ، أو يرفع أمره إلى الحاكم إن كان لا يقدر على ذلك.

ثم ختم الآية الشريفة بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾:

يعنى علاوة عن العفو عن المسئ، يقدم الإحسان والخير إليه؛ ... ويريد الله ﷻ من وراء ذلك انتشار روح المثالية العالية بين ربوع المجتمع الإسلامى، فإنه يمثل الفضيلة في أرقى درجاتها، فإذا رأى الناس هذه الآداب عشقوا الإسلام ودخلوا فيه: وورد أنه فى غزوة □ **فجاء رجل منهم..حتى قام على رأس رسول الله بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله! قال: فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله وقال: مَنْ يَمْنَعُكَ؟، قال: كن خير آخذ، قال: تَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا الله وَأَنّي رسول الله؟ قال: أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال: فخلى رسول الله سبيله فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس** □[١٢٠] ...

فعفا عنه ﷺ، والرسول يبين بذلك سنة الإسلام، ومعاملته الكريمة.

---

١٢٠ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: المستدرك على الصحيحين

والمؤمن الذي يرجو عفو الله وإحسانه، يجب عليه أن يعطى العفو من نفسه لعباد الله، فقد ذكر أن عبداً كان يصب الماء على سيده، فسقط الإبريق من العبد فانكسر وأصيب السيد فغضب لذلك، فقال العبد له: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾، فقال: كظمت غيظي، فقال العبد: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾، فقال: عفوت عنك، فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، فقال: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله.

الشعبة الحادية والسبعون

حسن الإعتذار

وهو أن يعتذر المؤمن لمن أساء إليه بما يذهب غيظه وحنقه ويكون بذلك بعبارات رقيقة، وأدب كريم، حتى يستل من نفسه الكراهية والبغضاء.

ولا يجوز أن يكون الإعتذار أقبح من الذنب كما يقولون.

قال ﷺ: **اتقوا غيظ القلوب ولو من دابة**[١٢١]، وقال ﷺ: **اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**[١٢٢].

وقد جاء في الحديث الشريف: { **إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ فِي الْحِسَابِ**[١٢٣] ...

---

١٢١ رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان عن سهل بن الحنظلية.

١٢٢ رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده عن أنس.

١٢٣ سنذكر الحديث بتمامه لفائدته العظيمة فى الكتاب، قال ﷺ: قَالَ النَّبِيُّ: «يَا بُنَيَّ! اكْتُمْ سِرِي تَكُنْ مُؤْمِناً، يَا بُنَيَّ! عَلَيْكَ بِإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ يُحِبُّكَ حَافِظَاكَ وَيُزَدْ فِي عُمُرِكَ، وَيَا أَنَسُ! بَالِغْ فِي الإِغْتِسَالِ مِنَ الْجَنَابَةِ فَإِنَّكَ تَخْرُجُ مِنْ مُغْتَسَلِكَ وَلَيْسَ عَلَيْكَ ذَنْبٌ وَلاَ خَطِيئَةٌ، تَبُلُّ أُصُولَ الشَّعْرِ وَتُنَقِي الْبَشَرَةَ، وَيَا بَنِيَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تَزَلَ أَبَداً عَلَى وُضُوءٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى وُضُوءٍ يُعْطَى الشَّهَادَةَ، وَيَا بُنَيَّ! إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تَزَالَ تُصَلِي فَافْعَلْ، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَزَالُ تُصَلِي عَلَيْكَ مَا دُمْتَ تُصَلِي، وَيَا أَنَسُ! إِذَا رَكَعْتَ فَأَمْكِنْ كَفَّيْكَ مِنْ رُكْبَتَيْكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ أَصَابِعِكَ، وَارْفَعْ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وَيَا بَنِيَّ! إِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ فَأَمْكِنْ كُلَّ عُضْوٍ مِنْكَ مَوْضِعَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ لاَ يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ، وَيَا بُنَيَّ! إِذَا سَجَدْتَ فَأَمْكِنْ جَبْهَتَكَ وَكَفَّيْكَ مِنَ الأَرْضِ، وَلاَ تَنْقُرْ نَقْرَ الديك، وَلاَ تَقْعِ إِقْعَاءَ الْكَلْبِ، وَلاَ تَفْتَرِشْ ذِرَاعَيْكَ افْتِرَاشَ السَّبُعِ، وَافْرُشْ ظَهْرَ قَدَمَيْكَ الأَرْضَ، وَضَعْ إِلَيَتَكَ عَلَى عَقِبَيْكَ فَإِنَّ ذَلِكَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي حِسَابِكَ، وَإِيَّاكَ

ومعنى هذا الحديث أن المسلم إذا انفضت الشحناء التى بينه بين أخيه، يعود قلبه إلى صفاءه وإلى محبة أخيه وعدم كراهيته.

- وإن حسن الإعتذار يستل السخائم من النفوس، والبغضاء من القلوب، وينتزعها كما تنتزع الشوكة من الجسد المعتل بها.
- ويجب على صاحب الحق أن يقبل الإعتذار من أخيه ولا يرده عليه لأن الله وصف المؤمنين بقوله: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [٣٧الشورى]، ويكون ذلك أدعى عند الإعتذار.
- ويترتب على عدم قبول العذر ضياع المروءة والنخوة بين الناس، واقتلاع الرحمة والشفقة من الصدر، واستمرار المكايد والشحناء والجفاء بين الناس، وهذا مما حرَّمه الإسلام، ودعا إلى نبذه وتركه، وقد ورد عنه ﷺ **مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْعُذْرَ مِنْ مُحِقٍّ أَوْ مُبْطِلٍ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ**[١٢٤] يعنى يقبل معذرة أخيه، ولا يتنكر له، ولا يتجهم به، ومن اعتذر إليك عن إساءته لك، فقد أذل نفسه إليك ووضع أمره بين يديك، فلا تترك هذه الفرصة تمر عليك بدون أن تحتويه لديك بقبول عذره، وأن تجذبه نحوك بحسن سياستك وجميل تصرفاتك، فإن المؤمن كريم، ومن شيم الكرماء أن يقيلوا ذوي العثرات، ويقبلوا منهم معاذيرهم استدامة للألفة، واستبقاءً للمودة.

وَالالْتِفَاتَ فِي الصَّلاَةِ فَإِنَّ الالْتِفَاتَ فِي الصَّلاَةِ هَلَكَةٌ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَفِي النَّافِلَةِ لاَ فِي الْفَرِيضَةِ، يَا بُنَيَّ! إِنْ قَدِرْتَ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ صَلاَتِكَ فِي بَيْتِكَ فَافْعَلْ، فَإِنَّهُ يَكْثُرُ خَيْرُ بَيْتِكَ، وَيَا بُنَيَّ! إِذَا خَرَجْتَ من بَيْتِكَ فَلاَ يَقَعَنَّ عَيْنَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ إِلاَّ سَلَّمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّكَ تَرْجِعُ مَغْفُوراً لَكَ، وَيَا بَنِيَّ! إِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَسَلِمْ يَكْنْ بَرَكَةٌ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَى أَهْلِكَ، إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ فِي الْحِسَابِ، وَيَا بَنِيَّ! إِنِ اتَّبَعْتَ وَصِيَّتِي فَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، يَا بُنَيَّ! إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي فِي الْجَنَّةِ» (ع) وأبو الحسن القَطَّان في الطوالاتِ (طص) عن سعيد بن المسيب عن أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ. جامع المَسانيد والمراسيل

١٢٤ أبو نعيم عن عليٍّ رضَي اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

الشعبة الثانية والسبعون

التوكل على الله

وهو كمال الثقة بالله، والإطمئنان إليه سبحانه،والإعتماد عليه جل شأنه:

- والتوكل على الله ناشئ من اعتقاد المؤمن أن الله حسيب ورقيب، وقائم على كل شئ.
- والتوكل على الله أمر عقائدى، يتعلق بالقلب والنفس وليس التوكل عملاً من أعمال الجوارح كما يفهم بعض الناس فيقعدون عن العمل، والحركة والتكسب، ويقولون هذا هو التوكل على الله. وذلك جهل بدين الله، فإن لكل جارحة من الجوارح عملاً لا بد لها من أداءه.
- والتوكل على الله هو عمل القلب واعتقاده، وأما الأسباب فهى عمل الجسم وحركته، فإن الله لم يخلق شيئاً عبثاً، وأن السماء لا تمطر خبزاً ولا لحماً، ولا فاكهة، ولا إداماً، ولا كساءاً، ولا سكناً ولا علاجاً، ولا تمطر ذهباً ولا فضةً وإنما ذلك يكون بكد الإنسان وسعيه في الأرض، وجهاده في طلب الرزق.

وكان سيدنا عمر ﷺ، يجد بعض الناس وقد انقطعوا لعبادة الله ﷻ وتركوا الأعمال، فيقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: المتوكلون. فيأمرهم بالخروج للعمل في عمارة الدنيا، وفي التكسب، وفي طلب الأرزاق من وجوهها المشروعة، ويقول لهم: بل أنتم المتواكلون أى المتكاسلون، المتقاعدون عن الجهاد في الأعمال وطلب الأرزاق وعمارة هذه الحياة، وقد وروي أنّ عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال: ما تصنع؟ قال: أتعبد. قال: من يعولك؟ قال أخي. قال: أخوك أعبد منك.[١٢٥]

١٢٥ ربيع الأبرار، وعيون الأخبار، العقد الفريد وغيره، وقد اشتهر على أنه حديث نبوى وليس بحديث.

وقال ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[١٢٦]

وذكر رسول الله لسيدنا داود في هذا المقام، لأنه كان ملكاً وعنده المال الوفير والخير الكثير، ومع ذلك فقد كان يعمل بيده آلات الحرب وأدوات الجهاد، ويبيعها وينفق منها، فلم يشغله الملك والسلطان والجاه عن العمل والتكسب، فما بال هؤلاء الناس الذين ينادون بترك العمل والإنحراف عن دين الله القويم!!، وهل خلق الله الإنسان إلا للعمل؟ .. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد٤].والكبد هو التعب، والمشقة من آثار العمل بجد ونشاط إلى يوم موته ولقاء ربه، بدون تعطل أو تبطل.

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة١٠٥]. والعمل الذي أمرنا الله به، يتنافي مع القعود والبطالة والكسل، والمؤمن الصادق ينفذ أمر الله في كل شئ، وليس في جهة دون أخرى، فإن الله خلق لنا الدنيا لنعمرها بقدر حياتنا فيها وانتفاعنا بها، وخلق لنا الآخرة لنعمل لها بقدر بقاءنا فيها وسعادتنا بها.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك١٥]، أمرنا الله بالمشى في مناكب الأرض:

والمشى هو السير برفق وتأن، والسعى بنظر وتأمل، حتى نتعرف على مكان الأرزاق والأقوات، والخيرات والمعادن، التى جعلها الله في الأرض المذللة والمسخرة لنا، فنستخرجها بالزراعة والصناعة والعلم والخبرة، ونأكل ونشرب ونلبس من رزق الله الذي استودعه لنا من خزائن الأرض.

ألا فليتأمل المسلمون القرأن، ويتفهمون معانيه، فلم يفرّط الله في القرآن من

---

١٢٦ رواه البخارى وأحمد عن المقدام.

شئ مما يحتاجه الناس في دنياهم وآخرتهم، لأنه التوجيه الإلهى الأخير، الذي جمع الله فيه للإنسانية خيرى الدنيا والآخرة.

قال ﷺ: ﴿ وَمَنْ سَعَى على عِيَاله فَفِي سبيلِ الله ﴾[127]، وقال أيضاً: ﴿ السّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللّهِ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصّائِمِ لاَ يُفْطِرُ ﴾[128]

الشعبة الثالثة والسبعون

الإستغفار

- وهو طلب المغفرة من الله تعالى.
- والمغفرة هى ستر الذنب حتى لا يظهر في كتاب المذنب، ولا في عالم الأرض والسماء، ولا يذكره أحد من الإنس والجن والملائكة. لأن الله إذا غفر ذنب العبد، محاه من صحائف أعماله، ولم تضره معصيته، ولا يسوءه ذنبه.

قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ [٢٠المزمل]، وهذه الآية من أعظم آيات الرجاء في كتاب الله ﷻ فقد قررت أن المؤمن إذا استغفر الله من ذنبه، فإن الله غفور يغفرله ذنبه، ورحيم يعطف عليه ويرحمه من محاسبته عليه، لأن العبد الطالب للمغفرة قد استشعر فداحة ذنبه وأيقن بضعف نفسه عن تحمل عذاب الله ووعيده، وأيقن كذلك بوسعة رحمته وعظيم مغفرته، وأن الله وعد المستغفرين بالغفران وأن الله لا يخلف وعده، فلجأ إليه مستغفراً وتائباً ... قال الله تعالي:

---

١٢٧ السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرةَ ﷺ والحديث بتمامه للفائدة : {قالَ: بَيْنَما نحنُ جلوسٌ معَ رسولِ الله ﷺ إذْ طَلَعَ علينا شابٌّ منِ الثَّنِيَّةِ، فلمَّا رأيناهُ (رميناهُ) بأبصارنا وقلنا: لو أَنَّ هذا الشابَّ جَعَلَ شَبَابَهُ ونَشَاطَهُ وقُوَّتَهُ في سبيلِ الله، قالَ: فَسَمِعَ مَقَالَتَنَا رسولُ الله ﷺ قالَ: وما سبيلُ الله إلاَّ مَنْ قُتِلَ، مَنْ سَعَى على وَالِدَيْهِ فَفِي سبيلِ الله، وَمَنْ سَعَى على عِيَالِهِ فَفِي سبيلِ الله، ومَنْ سَعَى على نَفْسِهِ لِيُعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ الله، ومَنْ سَعَى على التَّكَاثُرِ فهو في سبيل الشيطانِ }.

١٢٨ صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[١٠-١٢نوح].

وقد أثنى الله على المستغفرين بالأسحار، لأنهم يستغفرون ربهم من نومهم الذي حجبهم وقتاً من العمر عن ربهم وعن عبادته إذ أنهم لم يرتكبوا ذنباً يستغفرون منه ربهم، ولكنه من باب **(حسنات الأبرار سيئات المقربين)**، وللمستغفرين مشاهد جلت عن الحصر والعد، فقد يستغفرون الله من عبادتهم وقرباتهم، ومجاهداتهم ومشاهداتهم، فضلاً عن سهوهم وغفلاتهم ونومهم وشهواتهم المباحة، وأكلهم وشربهم وقد يستغفرون الله من علمهم وعملهم، فقد قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

استغفر الله من علمى ومن عملى … استغفر الله من طمعى ومن أملى
استغفر الله من صوم عجبت بـه … ومن صلاة بها قد صرت في وجل

الشعبة الرابعة والسبعون

التوبة

وهى ندم القلب، وأسف النفس، على ما وقع من المؤمن من المعاصى والمخالفات.قال ﷺ: **النَّدَمُ تَوْبَةٌ** [١٢٩]، وقال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٣١النور].

وحقيقة التوبة:

- الإقلاع عن المعصية وتركها.
- والبعد عنها وعن أسبابها.
- وكراهية المعصية وعدم التطلع إليها خوفاً من الله ﷻ وخشية من جلاله

١٢٩ رواه الديلمى عن ابن عمر.

رهبة من عقابه.

- واستبدال المعصية بعمل الصالحات والطاعات التى تقابل هذه المعصية، فالسرقة مثلاً. الطاعة التى تقابلها رد قيمة المسروق لأصحابه إن أمكن أو الإعتذار إليهم بأى صورة. أو البذل والتصدق والإنفاق. إن لم يمكن شئ مما تقدم، فإن الحسنات يذهبن السيئات، على أن تكون الحسنات مما يقابل السيئات فتكفرها.
- وهكذا نجعل لكل معصية طاعة تقابلها، فإن ذلك من شروط قبول التوبة، فإن لم تستطع فإن الله تواب كريم.

وقال ﷺ: **إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ حَفَظَتَهُ ذُنُوبَهُ ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ فِي الأَرْضِ ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ**[١٣٠]، وقال ﷺ: **التوبة تغسل الحوبة و الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**[١٣١]

وقد جعل الله باب قبول التوبة مفتوحاً للمؤمنين إلى ما قبل بلوغ الروح الحلقوم. وذلك فضل من الله على المؤمنين والله ذو الفضل العظيم.

وما ذكرناه هو توبة المؤمن من ذنبه، أما توبة الله سبحانه على عبده:

فهى توفيقه العبد إلى التوبة وإعانته عليها وتبغيضه في المعاصى والمخالفات، قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ** ﴾ [١٧الحجرات]. وتوبة الله على عبده عطفه عليه، وتفضله على عبده برحمته ومغفرته ومحبته. ورجوعه سبحانه إلى التائب بعوارفه ومننه ولطائفه قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْ** ﴾ [١١٨التوبة]، والفضل من الله وإلى الله. أسأل الله ﷻ أن يتوب

---

١٣٠ رواه ابن عساكر عن أنس.
١٣١ رواه أبو نعيم في الحلية عن شداد بن قوس.

علينا حتى نتوب إليه توبة نصوحا خالصة لوجهه الكريم إنه مجيب الدعاء.

الشعبة الخامسة والسبعون

صدقة السر

وهو أن تعطى أخاك المحتاج من مالك ما يساعده على قضاء حاجته، من غير أن يعلم بك أحداً إلا الله.قال ﷺ: **وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَخْفَاهَا لا تَعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ** [١٣٢] وهذا الرجل ضمن السبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله.ومعنى أن شماله لا تعلم ما أنفقت يمينه، أنه لا يذكر هذه الصدقة فيما بينه وبين نفسه وينساها، فكأنها لم تكن وكأنه لم ينفق شيئاً. وهذا كناية عن شدة التستر والكتمان، لأن المؤمن إنما يعامل الله ﷻ.

والله يعلم السر وما هو أخفي من السر، قال ﷺ: **صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ** [١٣٣] وكم نحن في أمس الحاجة إلى أن يرفع الله عنا غضبه ومقته، فإننا عبيد ضعاف ومساكين، ولا نقدر على تحمل شئ من غضب الله القوى الجبار، وفى بعض الكتب قال لقمان الحكيم: **وان كنت بين الناس فاحفظ لسانك. واذكر اثنين. وانس اثنين. اما اللذان تذكرهما فالله والموت. واما اللذان تنساهما احسانك فى حق الغير واساءة الغير فى حقك** [١٣٤].

وقال الله ﷻ: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

---

١٣٢ متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد معاً.

١٣٣ رواه القضاعى عن ابن مسعود.

١٣٤ تفسير تنوير الأذهان وتفسير حقى : وفى بعض الكتب قال لقمان الحكيم: { خدمت اربعة آلاف نبى واخترت من كلامهم ثمانى كلمات. ان كنت فى الصلاة فاحفظ قلبك. وان كنت فى بيت الغير فاحفظ عينيك.{ وان كنت بين الناس فاحفظ لسانك. واذكر اثنين. وانس اثنين. اما اللذان تذكرهما فالله والموت. واما اللذان تنساهما احسانك فى حق الغير واساءة الغير فى حقك }.

[٢٧١البقرة]، ولو أمعن المؤمن النظر لوجد أنه في الحقيقة إنما يتصدق على نفسه لا على غيره. قال الله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [٧الإسراء]

وهل إذا أكرم الإنسان نفسه وبرَّها به يقول لغيره أو لنفسه: أنا أحسنت إلى نفسي بكذا وكذا؟! ... ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [٢٠المزمل]. فإن المؤمن إنما يقدم لنفسه لا لغيره، كما بينت الآيتان الكريمتان، ومع ذلك فإنه يجد ما قدمه لنفسه مدخورا له عند الله ﷻ، وقد نما وزاد، وتعاظم وتكاثر، من غير حد ولا عد. فسبحان ذى الفضل العظيم والأجرالكبير.

الشعبة السادسة والسبعون

صلاة التطوع

وهى التى تسمى بصلاة السنة والنافلة والرغيبة، وهى كثيرة، من أهمها:

- السنن التابعة للفريضة ... كسنة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء والجمعة.
- وكذلك سنة العيدين، والضحى، والوتر، وصلاة النازلة، وصلاة الخوف، والكسوف، والإستسقاء، وهو طلب إنزال الماء من الله ﷻ عند الجفاف والشدة.
- وسنة التهجد وقيام الليل.

وهذه السنن تسمى سنن العبادة ونوافل التقرب إلى الله ﷻ.قال الله في الحديث القدسى: ☐ **مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ**

شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ[١٣٥].

أما سنن العادات كالأكل والشرب واللباس والنوم والمشى وقضاء الحاجة، والشكل الظاهر، فإنها كلها لم تكن بمثابة سنة العبادات، بل لو أن مسلما ترك سنة الصبح مرة واحدة في عمره، وعمل كل سنن العادات، ولم يترك منها شيئاً طول عمره، ما تساوت هذه السنن كلها مع ترك سنة الصبح مرَّة واحدة في العمر كله، فإن صلاة سنة الصبح مرَّة واحدة خير من عمل هذه السنن كلها طول العمر عند الله وعند رسوله وعند أئمة الهدى، .... ألا :

- فليتدبر ذلك الأخوة المتشددون على أنفسهم وعلى المسلمين في السنن العادية والشكلية.
- وليجاهدوا في حمل أنفسهم وحمل المسلمين على التمسك بفرائض الله أولا.
- والبعد عن محارم الله ثانياً.
- ثم بعمل سنن العبادات ثالثاً.

فإننا إذا وصلنا إلى ذلك نكون قد بلغنا بفضل الله قمة الهداية والرشد، والله من وراء القصد وهى الهادى إلى سواء السبيل.

وكذلك:

- صلاة التطوع.
- وحج التطوع، وعمرة التطوع، وصدقة التطوع.
- وجميع سنن العبادات من الأذكار الواردة والاستغفار...
- والصلاة على النبى ﷺ، وغيرها من نوافل العبادات التى رغب فيها

---

١٣٥ متفق عليه.

الإسلام وندب إليها المسلمين، وحثهم على القيام بها رغبة في المزيد من فضل الله ورضوانه.

الشعبة السابعة والسبعون

المحافظة على فروض الكفاية

فإن أكثر المسلمين يتهاونون فيها رغم أنها أكبر من السنة المؤكدة بكثير، نظراً لأن فرض الكفاية هو الذي إذا فعله بعض المسلمين سقط فعله على الباقين، ومن هنا تهاون كثير من المسلمين فيه. وحرموا من الأجر العظيم الذي يمنحه الله لمن يفعله ويؤديه، وهى ظاهرة سيئة في المسلمين، لأن المسلم أحرص الناس على ثواب الله ومغفرته ورحمته. وإن المسلم لا تفوته فرصة عن تحصيل فضل الله وغفرانه ما دام ذلك في استطاعته، والمسلم لا يزهد أبداً في هذه الخيرات والهبات الإلهية، ومن فروض الكفاية، طلب العلم وصلاة الجماعة، وصلاة الجنازة ورد السلام.

فإننا نجد المسلمين مثلاً يشيعون جنازة أخ لهم إلى الدار الآخرة، وعند أداء الصلاة عليه، نجدهم قد وقفوا أمام المسجد ينتظرون إنتهاء الصلاة على الجنازة، وكأنهم ليسوا مطالبين بها، وكان في استطاعتهم أن يؤدوا هذه الفريضة مع من يؤديها، ويأخذوا نصيبهم من رحمة الله مثل إخوانهم المصلين على الجنازة، وكلما كثر المصلون على الجنازة، كلما كانت رحمة بها وبهم أعظم، فإن المصلين عليها يشفعون لها بين يدى الله، والله لا يرد شفاعة المؤمنين ... قال ﷺ: **اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**[١٣٦]

والصلاة على الميت حق من حقوقه في رقبة الأحياء، وخاصة أهله وأقاربه، وأرحامه وجيرانه، وأصدقاءه ومعارفه، وكل من شهد جنازته، فعلينا أن نرعى هذا الواجب لأننا جميعاً مقبلون على الموت وقادمون إليه، وكلنا في أمس الحاجة إلى كثرة

---

١٣٦ رواه ابن عساكر عن معاوية.

الشفعاء لنا والمصلين علينا.

نسأل الله لنا وللمسلمين التوفيق والهداية إلى كل خير إنه ولى المؤمنين.

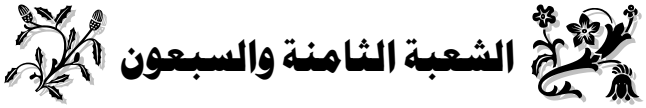

زيارة القبور

وهى سنة من سنن الإسلام، من أجل الموعظة والتذكرة ومن أجل الدعاء والترحم على الأموات، وفاءا لهم وبراً بهم، وإحسانا إليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾ [٢٣٧البقرة]، فأهل القبور قد فارقونا بعد أن قدموا لنا الواجب عليهم ديناً ودنيا، ولذلك فإن لهم الفضل علينا وصنيع عندنا لا ننساه، ولا يجوز أن ننساه، والموت لا يقطع الصلات التى بيننا وبينهم، والصلات بعد الموت صلات روحية ومعنوية، وليست مادية.

قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [١٠الحشر]، والدعاء للأموات وارد بنص القرآن وهو مقبول إن شاء الله، لأنهم عند ربهم لا يملكون شيئا من أمر الدنيا والآخرة فيقول الله لمن دعا لهم: وأنا أرحم بهم منك فإنى أعطيهم ما طلبته لهم ولك مثله.

وكذلك قراءة القرآن للأموات يصل ثوابها إليهم ما دام قد قرأه من أجلهم، فإن القرآن لما قرئ له، لأنه كلام الله، وصفة الله، التى يرحم بها ويثيب بها، وكذلك يعذب بها. قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [لقمان]، والمحسنون هم الذين أحسنوا إلى أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح والقرآن رحمة لهم في الدنيا والآخرة, ولم يكن في الدنيا فقط لأن الآية الشريفة عامة ومطلقة، لم تقيد ولم تخصص بشئ من قرآن أو سنة. قال الله تعالى موضحاً هذا المعنى كذلك: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [٨٢الإسراء]. فقد

صار القرآن يتنزل منه الشفاء والرحمة للمؤمنين، والشفاء إنما يكون من الأمراض الخلقية والدينية والإجتماعية.

والرحمة عامة تتنزل من القرآن للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وذلك فضل الله علينا خاصة، وكان فضل الله علينا كبيراً ولا يقيده أحد، ولا يمنعه أحد ولا يخصصه أحد، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [٤٧الأحزاب].

وقد ورد عن رسول الله: ﷺ **مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ، كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، إِلا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ** ﷺ[١٣٧]

ومن السنة :

- أن يسلم الزائر على من يزوره من أهل القبور فإن الأرواح تسمع السلام وترده على صاحبه.

- وإذا دخل مقبرة عامة سلم على جميع أهلها قائلا كما قال رسول الله ﷺ: ﷺ **السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ** ﷺ[١٣٨]، وكلمة دار منصوب على نزع الخافض، وهو هنا الإضافة والتقدير السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين. وقد أمرنا الإسلام بإلقاء السلام عليهم لنعلم أنهم أحياء حياة برزخية عند ربهم.

وزيارة القبور سنة للرجل والمرأة على السواء:

- ويجب على المرأة أن تلتزم بآداب الإسلام عند الزيارة.، لأنها إنما تزور المقابر لترقيق مشاعرها، وتهذيب نفسها وتتذكر الموت ولقاء الله، وتترحم على أهلها كالرجل تماماً، لأن الرجل والمرأة في أحكام الإسلام سواء، إلا ما كان خاصاً منها بالرجل فيجرى عليه حكمه دون المرأة،

---

١٣٧ رواه الخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة.
١٣٨ رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة.

كذلك ما كان خاصاً بالمرأة من الأحكام فإنه يجرى عليها فقط دون الرجل.

الشعبة التاسعة والسبعون

إماطة الأذى عن الطريق

ومعناه إبعاد الأذى والضر من طريق الناس، فإن ذلك العمل من سنة الإسلام، لأن تعبيد الطريق وإصلاحه وتذليله للمارة، شعبة من شعب الإيمان.

قال سيدنا عمر ﷺ: **لو أن بغلة عثرت بالشام لكنت مسئولا عنها يوم القيامة. فقالوا له: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأننى مسئول عن تعبيد الطريق لها.**

يدخل في ذلك أنه:

- لا يجوز للإنسان أن يقف في عرض الطريق بدابته أو سيارته يعطل المارة.
- كذلك يحرم حرمة كبيرة أن يقطع أحد الطريق ويخوف الناس ويرهبهم.
- وكل مسلم عليه أن يعمل ما يستطيع عمله بالنسبة لمنع الأذى عن الطريق، فقد يجد الإنسان حجراً، أو خشبة، أو شجرة، أو حائطاً مائلاً ويمكنه أن يبعده عن الطريق فليفعل، لأن الكل مطالب بشعائر الإسلام وشعب الإيمان.
- ومن آداب الطريق أيضاً إنك إن وجدت حادثة فعليك أن تنتظر لعلك تستطيع أن تقدم معونتك أو خبرتك لتخفف من آثارها.
- ومن آداب الطريق أن تذكر الله عند كل مشهد من مشاهده، عند صعودك

عاليا، أو هبوطك منخفضاً، أو دخولك بلداً من بلاد الله، فإن ذلك أيضاً من إماطة الأذى عن الطريق، فإن نسيان الله أثناء السفر أذى وضرر على المسافر وعلى من معه، والأمور المعنوية مرتبطة بالأمور الحسية، هذا وبالله التوفيق والسداد.

- ومن إماطة الأذى عن الطريق تأمينه وسلامته من كل من يتعرض للمسافرين فيه بسوء، والطريق يشمل الأرض والبحر والجو.

وإذا كان هذا لازما في الطرق المحسوسة .....

فإنه في طريق الله ألزم!!

فإن إماطة الأذى عن طريق الله ورسوله:

- من الصادين عن دين الله!
- والمتهاونين بدين الله!
- والمتشددين في دين الله!
- والشاطحين عن النمط الوسط في دين الله!
- والمشترين الدنيا بدين الله!
- والمتسترين وراء الدين لأى هدف من الأهداف!

فإنهم جميعاً أذى وضرر كبير يجب تنحيته عن طريق الله ورسوله ﷺ.

فإن كان تأمين الطرق البحرية والأرضية والجوية واجب:

فإن تأمين طريق الله ﷻ أعظم وجوباً .. حتى ينساب الإسلام إلى الناس في قنواته الشرعية ... فيهدى عقولهم ... ويروى قلوبهم بالحكمة والبيان الكريم ... كما

ينساب الماء العذب في قنواته المعدة لجريانه، ليروى الزروع، ويسقى الضروع ويحيى الأرض الميتة بإذن الله.

ونكتفي إلى هنا في بيان شعب الإيمان ....

لأن شعبه أكثر من ذلك ...

وإن حديث رسول الله ﷺ الذي بيناه، ويذكر منها بضعاً وسبعين شعبة..

فإن المقصود بالعدد فيه التكثير وليس التحديد، وذلك كقول الله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [٨٠التوبة] ... فليس المراد تحديد الاستغفار بهذا العدد بحيث لو استغفر لهم إحدى وسبعين أو ثمانين مرة مثلاً، يغفر الله لهم، وإنما المراد أنك مهما استغفرت لهم ولو أكثرت في ذلك فلن يغفر الله لهم، لأنهم كفروا بالله ورسوله، وإن الله لا يغفر لمن كفر به وبرسوله أو أشرك بالله شيئاً.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذين يتعلقون بشعب الإيمان ويعتصمون بها.

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [١٠١آل عمران] ....

إنه مجيب الدعاء ....

وصلى الله على سيدنا محمد .... الذي علمنا ما لم نكن نعلم وعلى آله وصحبه وسلم .... وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وآلهم ....

والحمد لله رب العالمين ....

الخاتمة

إن الخير الذي أفاضه الله على العبد المسكين، لا يستطيع عدَّه ولا حصره، وإن عجزي عن شكر الله جلت نعمه وأياديه، هو وسيلتي إلى عفوه ومغفرته، وإن لي ذنوباً وأوزاراً عظاماً . . خفيت عن الناس ولكن الله يعلمها، وقد سترها الله علي في هذه الدنيا، فضلاً منه وحلماً . . وأني أتوجه إليه سبحانه بجاه حبيبه ومصطفاه ﷺ، أن يسترها علي ويغفرها لي في الآخرة، كما سترها علي في الدنيا . . . .

وأن يغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات الأحياء والأموات، . . . . إنه حسبنا ونعم الوكيل . . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإني أرجو من إخواني المسلمين الذين يطلعون على هذا الكتاب إن وجدوا فيه ثغرة يلتمسون لي العذر، ويسألون الله لي المغفرة فإني عبد خطاء، ذو جهالات وسيئات ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾. [٥٣يوسف] . . وإن وجدوا فيه خيراً فهو من الله ﷻ، ومن نظرات رسوله ﷺ، فيحمدون الله جل شأنه، ويشكرون رسول الله ﷺ.

وأسأل الله الحليم الكريم أن يتقبلني والمسلمين جميعاً بقبول حسن، وأن يكلأني وإياهم بحفظه ورعايته . . .

إنه نعم المولى ونعم الحفيظ.

والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وأنبياءه . . . .

وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبذة عن حياة العارف بالله تعالى
الشيخ محمد على سلامة
(مدير مديرية أوقاف محافظة بورسعيد سابقاً)

أولاً: حياته:

ولد رضى الله تعالى عنه وأرضاه، فى العشرين من نوفمبر سنة ألف وتسعمائة وثمانية وعشرين ميلادية بمدينة ههيا بمحافظة الشرقية، وحفظ القرآن الكريم، وأتمَّ تجويده وقراءته بالقراءات السبع المتواترة فى صباه، ثم التحق بمعهد الزقازيق الدينى، وأتمَّ فيه دراسته الإعدادية والثانوية.

وقد عين إمامًا فى وزارة الأوقاف بالثانوية العامة فى محافظة أسوان سنة ١٩٥٤م بعد مسابقة نجح فيها عملتها الوزارة لذلك، والتحق بكلية أصول الدين التابعة للأزهر الشريف بالقاهرة، حتى حصل فيها على درجة الإجازة العالية فى الدعوة والإرشاد سنة ١٩٦٠م، هذا بالإضافة إلى أنه قد سلك طريق التصوف على منهج الإمام أبى العزائم ﷺ، وترقى بعد ذلك فى المناصب القيادية بوزارة الأوقاف حتى وصل إلى درجة مدير عام لمديرية الأوقاف ببورسعيد سنة ١٩٧٤م.

هذا وقد فاز بالمركز الأول فى المسابقة التى أجرتها وزراة الأوقاف بين الأئمة فى كتابة موضوع يبين ناحية من نواحى عناية الإسلام بالإنسان وذلك عام ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م وكان بحثه بعنوان (حقوق الإنسان فى الإسلام) وتسلم الجائزة من السيد رئيس الجمهورية فى الاحتفال الذى أقيم بهذه المناسبة يوم الأربعاء ٢٨ من رجب ١٤١١ هجرية الموافق ١٣ من فبراير ١٩٩١م، وكان من جملة التكريم تأدية فريضة الحج على نفقة الوزارة فى هذا العام، وقد لقى ربه أثناء قيامه بتأدية هذه الفريضة بمكة المكرمة، ودفن بالمعلى يوم الأحد ٤ من ذى الحجة ١٤١١ هجرية، ١٦من يونيو ١٩٩١ م عن عمر يناهزثلاثة وستين عاماً.

ثانياً: جهاده:

كان رضى ﷺ من العلماء العاملين الداعين إلى الله ﷻ على بصيرة، وقد نذر نفسه وماله وحياته كلها لله ﷻ وقام فى سبيل ذلك بما يلى:

١. أسس جمعية الدعوة إلى الله فى عام ١٩٨٥م، وأعلن أن بغيتها العمل على إنهاء التمزق والتفرق الذى أصاب المسلمين، والعمل على توحيد صفوفهم وجمع شملهم، وبيان المنهج الأمثل للدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة الطيبة.

٢. عالج فى زياراته التى لا تنقطع ومحاضراته التى لاحصر لها وكتبه، الظواهر الاجتماعية الملحة فى عصره، فعالج المشكلات الاجتماعية الكبرى بالوصف والتحليل ووضع العلاج المناسب لها من القرآن والسنة كظاهرة الغش، والمشكلات الاقتصادية، وقضية انتشار المخدرات، والمشكلة السكانية، ومعاملة غير المسلمين فى المجتمع المسلم وقيمة الوقت والتهاون بالصلاة وغيرها.

٣. تحدث عن هموم العالم الإسلامي ووصف الطريق الصحيح لإصلاح أحوال المسلمين، وبين الكيفية التى يتم بها عودة الروح الإسلامية، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ومسئولية الأمة فى تبليغ الدعوة الإسلامية، ودور العلماء الأجلاء فى الرد على المستشرقين، واستشرف بروحه الصافية المعارك الإسلامية الكبرى المعاصرة ووصفها وصف الخبير العالم ببواطن الأمور، وذلك قبل وقوعها وذلك كمعركة العاشر من رمضان وحروب العراق.

٤. عالج رضى الله عنه ظاهرة الخلاف فى الصحوة الإسلامية المعاصرة بكل خبرة وإمعان وأبان شبهاتها ووضح الطريقة السديدة فى تناولها ومعالجتها حتى يظل شمل المسلمين مجتمعًا.

٥. لم ينس أهم أساس فى بناء المجتمع المسلم وهو الأسرة فأولاها عنايته، وبين المنهج الإسلامي فى تربية النشء، ومدى عناية الإسلام بالمرأة، وكيفية

تكوين الأسرة الفاضلة.

٦. بين بحاله وخلقه وقاله التربية الروحية الصافية التى يحرص عليها التصوف الإسلامي الصحيح، وكشف أحوال المدعين والمنتسبين زورًا وباطلا إلى الصالحين بأن جعل القياس الصادق للحكم على أحوال الصالحين هو موقفهم من الشريعة المطهرة وموقف الشريعة منهم.

ثالثاً: تراثه العلمى: ترك ﷺ ستة وعشرين كتابًا تشمل كل نواحي الحياة الإيمانية فى المجالات الآنية وهى مقسمة كالتالى :

أولا: الفتاوى والأحكام:

١. مصابيح على طريق الإيمان (ثلاثة أجزاء).
٢. من منابع الدين الحنيف.
٣. حكمة الحج وأحكامه.(طبعتان)
٤. الصوم عبادة ومجاهدة.

ثانيًا: العقيدة الإسلامية:

٥. التوحيد فى القرآن والسنة.(طبعتان)
٦. علامات وقوع الساعة. (طبعتان)
٧. حوار حول غوامض الجن.
٨. مواقف بعض الأنبياء والرسل فى القرآن الكريم.
٩. أيام الله.
١٠. شعب الإيمان. (طبعتان)
١١. الإسراء معجزة خالدة.

ثالثًا : الأسرة المسلمة:

١٢. توجيهات فى بناء الأسرة.
١٣. حقوق الإنسان فى الإسلام.
١٤. قبس من معانى سورة النور.

١٥. خواطر إيمانية حول تنظيم الأسرة والمشكلة السكانية.

رابعا: الدعوة الإسلامية

١٦. كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله؟(طبعتان)

١٧. الإنسان الوسط.

خامسًا: التصوف الإسلامى.

١٨. الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين.(طبعتان)

١٩. أنوار أهل التحقيق فى وصول أهل الطريق.(طبعتان)

٢٠. عبادة المؤمن اليومية.(طبعتان)

٢١. قطرات من بحار المعرفة.

٢٢. شرح الفتوحات الربانية فى الصلوات على خير البرية للإمام السيد محمد ماضى أبي العزائم.(ثلاث طبعات)

٢٣. الجواب الشافى على أسئلة الحكيم الترمذى فى كتابه ختم الأولياء.(طبعتان)

٢٤. ندوة عن التصوف.

٢٥. بريد إلى القلوب (جزءان).

سادسا: الحديث الشريف:

٢٦. من هدى النبوة (جزءان): وفيه شرح ﷺ مائة واثنين من الأحاديث الشريفة بلغة مبسطة مسهلة وقدمها فى حلقات بإذاعة القناة وقد جمعت فى هذا الكتاب.

سابعًا: تراثه الصوتى:

حبا الله ﷻ الشيخ ﷺ بصوت روحانى كان يرتل به كلام الله ﷻ النورانى أثناء دروسه وخطبه، فيترك فى نفوس السامعين أثرًا بليغًا لرقته وخشيته، وقد سمعه د. عبد المنعم النمر عندما كان وزيرًا للأوقاف أنذاك أثناء زيارته لمدينة بورسعيد؛ فطلب منه أن يقوم بعمل تسجيل كامل للقرآن الكريم على شرائط تسجيل وكان هذا المتاح وقتها، فقام ﷺ بهذا التسجيل على واحد وأربعين شريطًا.

هذا غير الكم الهائل من شرائط التسجيل المسجل عليها دروسه الدينية فى كافة المناسبات الدينية والإسلامية، والآداب الربانية، والتربية الروحانية.

ثامناً: موقع الشيخ على شبكة المعلومات (الإنترنت):

وقد قام أحباب الشيخ ﷺ بإنشاء موقع على شبكة الإنترنت يحتوى على كتب الشيخ وتراثه العلمى والصوتى ورابط الموقع : www.mohamedalisalama.com، كما يقوم أحبابه وأبنائه بتفريغ وكتابة الشرائط المسجلة من دروس وخطب ولقاءات، وتحويلها أيضاً إلى ملتيميديا رقمية لنشرها على الموقع لتعم فائدتها بلاد الدنيا أجمعها إن شاء الله تعالى.

كما أننا نقوم والحمدلله بإعادة طباعة ونشر تراث الشيخ المطبوع فى ثوب جديد وحديث بعد تحقيق مادته العلمية ومراجعته لتلافى الأخطاء المطبعية ومواكبة فقه الواقع ومستجدات العصر، وقد انتهت الطبعات الأولى كلها تماماً من السوق مع تعدد بعضها، وسنوالى فعل ذلك تباعاً، أعاننا الله ووفقنا لنشر هذا التراث المبارك مطبوعه أو مخطوطه أو مسموعه رقمياً أو بعد تفريغه نسأل الله أن ينفع به المسلمين أجمعين، ورحم الله الشيخ محمد على سلامة رحمة واسعة، وأجزل له الثواب، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير فى الدنيا والآخرة آمين يارب العالمين، وعلى من أراد مزيد المعرفة عن سيرته فليطالع كتابنا :

"الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة"

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فوزي محمد أبوزيد

مدير عام بالتربية والتعليم سابقاً

رئيس الجمعية العامة للدعوة إلى الله

بجمهورية مصر العربية

الفهرست

مقدمة المحقق بقلم الشيخ فوزى محمد أبوزيد	٣
أمثلة فى فقه دعوة الشيخ محمد على سلامة إلى الله	٤
من هدى الشيخ سلامة فى خطبة الجمعة	٩
بذل الجهد الجهيد فى الدعوة مع الرغبة فى عدم الظهور	١١
من نماذج البذل فى الدعوة إلى الله مع الخفاء	١٢
أقوال ومواقف سريعة وثاقبة	١٧
تقديم الطبعة الأولى	١٩
مقدمة شعب الإيمان	٢١

شعب الإيمان

رقم شعبة الإيمان	إسم الشعبة	صفحة
الأولى	الإقرار والإعتراف	٢٥
الثانية	إقامة الصلاة	٢٧
الثالثة	إيتاء الزكاة	٢٩
الرابعة	صوم رمضان	٣٠
الخامسة	الحَجُّ	٣١
السادسة	العُمْرَةُ	٣٢
السابعة	الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ورسوله	٣٣
الثامنة	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٦
التاسعة	الإحسان إلى الوالدين	٣٨
العاشرة	إعطاء القريب حقه	٤٠
الحادية عشر	صلة الأرحام	٤١
الثانية عشر	إكرام الجار	٤٣

رقم شعبة الإيمان	إسم الشعبة	صفحة
الثالثة عشر	رعاية اليتيم والمحافظة على ماله	٤٦
الرابعة عشر	حقوق الأزواج على بعضهم	٤٨
الخامسة عشر	شهادة الحق	٥٢
السادسة عشر	أداء الأمانة إلى أهلها	٥٣
السابعة عشر	الوفاء بالعهد والوعد	٥٥
الثامنة عشر	الإخلاص	٥٧
التاسعة عشر	الصدق	٥٨
العشرون	حسن المعاشرة والمعاملة	٦٠
الحادية والعشرون	رعاية الآباء لأبنائهم	٦١
الثانية والعشرون	إتقان العمل	٦٣
الثالثة والعشرون	توفية الكيل والميزان والمقياس	٦٤
الرابعة والعشرون	التفكر في مخلوقات الله تعالى	٦٥
الخامسة والعشرون	الذكر	٦٧
السادسة والعشرون	الشكر	٧٠
السابعة والعشرون	الصبر	٧١
الثامنة والعشرون	الحلم	٧٢
التاسعة والعشرون	التواضع	٧٣
الثلاثون	الزهد	٧٥
الحادية والثلاثون	الإيثار	٧٦
الثانية والثلاثون	الرضى	٧٨
الثالثة والثلاثون	الحياء	٧٩
الرابعة والثلاثون	الإحسان	٨٠
الخامسة والثلاثون	الإيقان	٨٤
السادسة والثلاثون	الورع	٨٦

رقم شعبة الإيمان	إسم الشعبة	صفحة
السابعة والثلاثون	التوسط في الأمر	٨٨
الثامنة والثلاثون	المحاسبة	٨٩
التاسعة والثلاثون	المراقبة	٩٠
الأربعون	التقوى	٩١
الحادية والأربعون	النصيحة	٩٥
الثانية والأربعون	المداراة	٩٦
الثالثة والأربعون	حفظ السر	٩٧
الرابعة والأربعون	المسارعة إلى الرحمة والمغفرة	٩٩
الخامسة والأربعون	الفرح بفضل الله ورحمته	١٠١
السادسة والأربعون	الخوف والرجاء	١٠٢
السابعة والأربعون	الإنتباه واليقظة	١٠٤
الثامنة والأربعون	الإفتقار إلى الله	١٠٥
التاسعة والأربعون	المحافظة على الوقت	١٠٦
الخمسون	عمارة الدنيا	١٠٧
الحادية والخمسون	الإصلاح بين الناس	١٠٩
الثانية والخمسون	غض البصر وحفظ الفروج	١١٠
الثالثة والخمسون	الاستعفاف	١١١
الرابعة والخمسون	الاستئذان	١١٢
الخامسة والخمسون	ظن الخير بالمؤمنين والمؤمنات	١١٤
السادسة والخمسون	حب الله ورسوله وأهل بيته	١١٥
السابعة والخمسون	القناعة	١١٧
الثامنة والخمسون	إكرام الضيف	١١٨
التاسعة والخمسون	الإفساح في المجالس	١٢٠
الستون	الحب في الله والبغض في الله	١٢١

رقم شعبة الإيمان	إسم الشعبة	صفحة
الحادية والستون	التآخي في الله	١٢٢
الثانية والستون	عيادة المريض	١٢٥
الثالثة والستون	تشييع الجنازة	١٢٧
الرابعة والستون	إمهال المعسر	١٢٨
الخامسة والستون	إكرام العلماء	١٢٩
السادسة والستون	طلب العلم	١٣٠
السابعة والستون	قراءة القرآن	١٣١
الثامنة والستون	حفظ شئ من كلام النبوة	١٣٢
التاسعة والستون	قيام الليل	١٣٣
السبعون	العفو عند المقدرة	١٣٤
الحادية والسبعون	حسن الإعتذار	١٣٥
الثانية والسبعون	التوكل على الله	١٣٧
الثالثة والسبعون	الإستغفار	١٣٩
الرابعة والسبعون	التوبة	١٤٠
الخامسة والسبعون	صدقة السر	١٤٢
السادسة والسبعون	صلاة التطوع	١٤٣
السابعة والسبعون	المحافظة على فروض الكفاية	١٤٥
الثامنة والسبعون	زيارة القبور	١٤٦
التاسعة والسبعون	إماطة الأذى عن الطريق	١٤٨
الخاتمة		١٥١
نبذة عن الشيخ محمد علي سلامة بقلم المحقق الشيخ فوزى أبوزيد		١٥٢
الفهرست		١٥٧

تم بحمد الله تعالى وبركة حبيبه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم